مجلة شهرية

Issue No: 133 عدد:

September 2018 شهر أيلول

نـــــور يسوع المسيح المســـيح

Φ Ω Σ الغـ ـالب XPIΣTOY

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

رفع الصليب الكريم المحيي

اليوم يُوافي صَليب الربّ. فيستقبلهُ المؤمنون بلهفةٍ.

وينالون بهِ شفاء النفوس والاجساد والبرءَ من كُلِّ الاسقام.

فلنقبِّلَنَّهُ بفرحٍ وخوف. امَّا الخوف فمن الخطيئة التي بها نكون غير مستحقين.

وامَّا الفرح فبالخلاص الذي يمنحه للعالَم

المسيح الربُّ الذي سُمِّر عَليهِ العظيم الرحمة

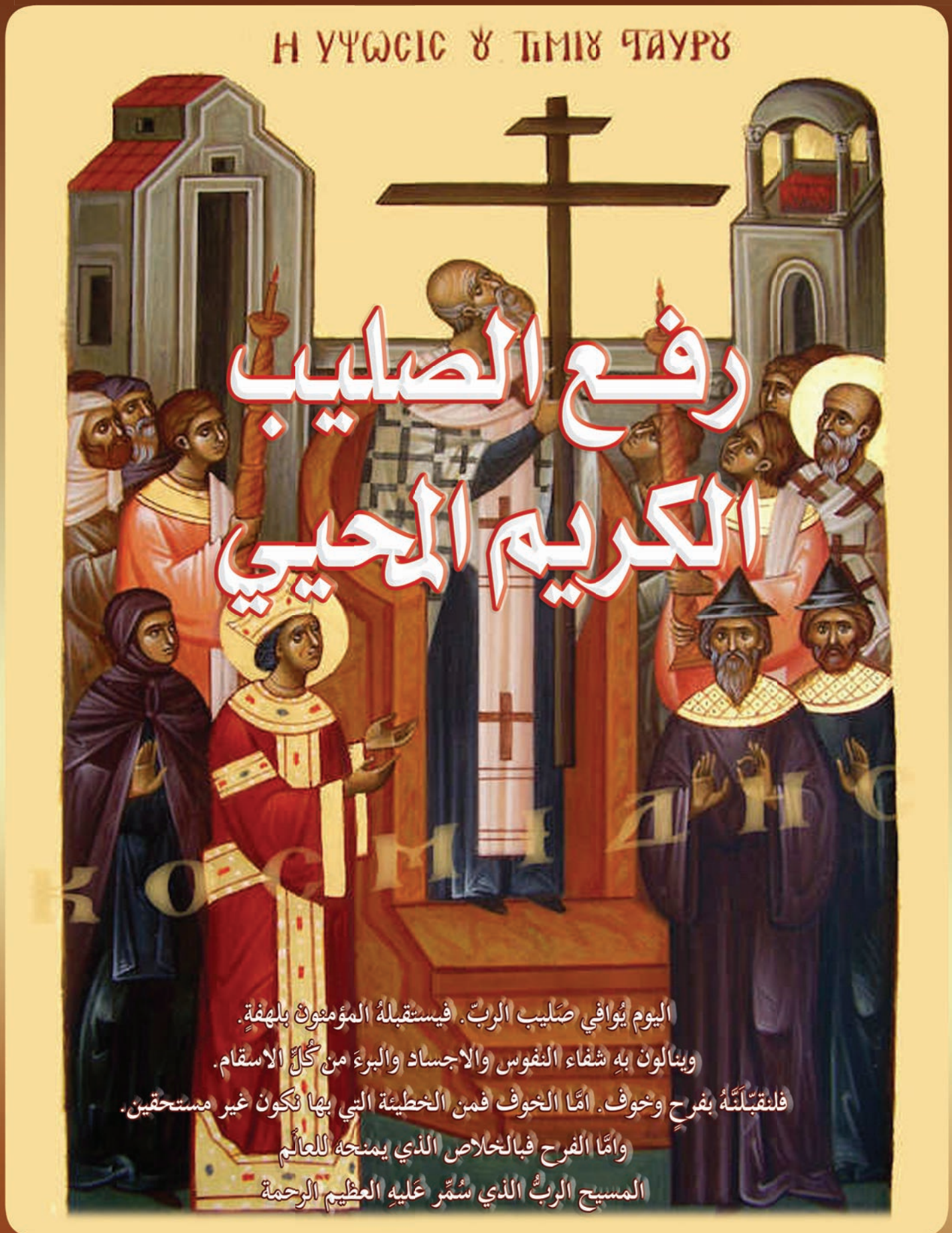

محتويات العدد

فليكن ذكره مؤبدًا	2
كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث	3
عندما يتزعزع الايمان	4
النُسك في حياة الرهبنة	5
يونان النبي والمزايا اللاهوتية	6
القديس أفرام الجديد	8
الكنيسة ودورها	10
الصلاة لمجموعة من الآباء..	12
المحبة	14
نبي الانسانية	15
آيات	18
الأولاد والطاعة	19
--------	-
--------	--
--------	---
القديس نكتاريوس	20
جزنا بالنار والماء	21
----------	21
الصلاة – للذهبي الفم	22
----------	---
الأرثوذكسية قانون إيمان	23
العظات الثماني عشرة عن المعمودية	24

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم: 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

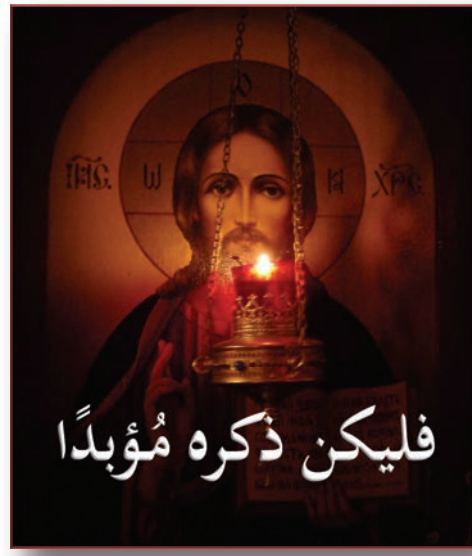

ما معنى ليكن ذكره مؤبدًا في خدم الذكرانيات

جون سانيدوبولوس

نقلتها إلى العربية علا مقصود

عندما نرتل «**ليكن ذكره مؤبدًا**» في خدم الذكرانيات أو في خدمة الجناز، فإنه يُظَن وبشكل خاطىء أن ذكرى الراحل ستكون محفوظة في الأرض ليس فقط من محبيه، لكن وأيضًا لأجيال أخرى.لكن الحقيقة إن هذه الترتيلة ليست موجهة إلى أقارب الفقيد ومحبيه، وليست موجهة إلى الفقيد وليست أيضًا لغرض أرضيّ. وإنما هي موجهة إلى **الله الأزلي** من أجل **الفقيد**.

جاء الرسل مرة إلى السيِّد المسيح وخاطبوه قائلين: يارَبُّ حتى الشياطين تخضع لنا باسمك فأجابهم الرب: «وَلكِنْ لاَ تَفْرَحُوا بِهذَا: أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ» (لوقا ١٠:١٧ – ٢٠)، وخاطبهم بكلمات أخرى قائلًا لهم بألّا يبتهجوا بشيءٍ على الأرض، لا يُقدّم شيئًا لخلاصهم، بل ليبتهجوا لأن اسماءهم ستُذكر للأبد في ملكوت السماء، أي أن اسماءهم ستكتب في الكتاب المقدس (بكتاب الحياة).

وأفضل تصوير لهذا هو في مثل **لعازر والغني**، حيث **لعازر الفقير** بعد موته ذهب إلى أحضان إبراهيم (ملكوت الله) وأصبح اسمه مكتوبًا هناك إلى الأبد. بينما **الغني البائس** يتخبط في الهاوية مجهولًا تمامًا. لأن اسم الشخص هو هويته.

الذكرى الأبدية مساوية للقول «أن تكون دائمًا في ذاكرة الله». الكنيسة تقول هذه الصلاة فسيبقى الفقيد في ذاكرة الله، لأنه إن نسينا الله وإن قال «إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!» (متى٧:٢٣) فإننا سننقاد إلى الفناء الروحي. لكن إذا تذكرنا مثل اللص على الصليب الذي سأله أن يذكره، سنكون نحن معه أيضًا في الملكوت.

بحسب **الآباء القديسين** تعيش الخليقة روحيًا فقط عندما تشترك في قوى الربّ المؤلِّهة، فمن خلال هذه النعمة غير المخلوقة، نستمر في الحصول على وجودنا الروحي وامكانية النموّ الروحي. وهذا طبيعي بما أن «الإله موجود، والخليقة غير موجودة» (**القديس مكسيموس المعترف**). لذلك فإن الخليقة توجد وتتكون، لأنها تشترك في نعمة الله الأزلية المحيية والجوهرية .كما يقول **القديس باسيليوس الكبير**: «فقط هناك شيئان موجودان؛ الإله الذي يُقَدِّس، والخليقة التي تَتَقَدَّس».

إن خلود الروح بعد الموت هو عطية ويمكن القول أنه أمر طبيعي وفرض على الإنسان. الملعونون يبقون أبدًا في قاعدة خلود الروح لكن وجودهم، يكون تحديدًا (**في مكان او واقع محدّد**) لأن الخلود هو أمر طبيعي ومفروض، وجودهم هذا هو موت. الجحيم هو مكان الأموات، لأن الاشتراك في نعمة الله الأزلية المحيية والمؤلهة غائبة عنهم، غياب العلاقة الضرورية مع الله وبالتالي غياب الهوية الشخصية التي تُكَوّن هذه العلاقة. لذلك علينا أن نعلم أن العلاقة مع الله، والاشتراك بقوة نعمته المُؤَلِّهة، هي ما يعطي الإنسان الماهية وليس الطبيعة نفسها. إن العلاقة بين الله والإنسان تثبت طبيعتيهما ويصبحان حقيقة شخصًا واحدًا.

يَرى العديد خلاص النفس فقط في حقيقة أنهم لا يريدون أن يتعذبوا أبديًا، بينما الخلاص هو هذه العلاقة وهذا الحب. اشتراكنا مع النعمة الالهية. النفس ولأنها تُخلّد بطبيعتها بحسب النعمة الالهية الأزلية، ولا تُخلِّد نفسها بنفسها، فهي بحاجة وجودية للوجود والتثبُّت برباط مع شخص لتكسب الهوية الأبدية، وهذه الهوية كما نقول تُعطى من الإله بعلاقة، وتُخلق بحرية من البشر الموجودين ضمن الكنيسة من خلال أسرارها المقدسة. لذلك إذا لم نَخْلِقْ هذه العلاقة سنكون محرومين من البقاء في ذاكرة الله وسنقع في «أنا لم أعرفك أبدًا» وهذا هو فعلًا «**الموت الروحي**».

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد رفع الصليب الكريم المحيي في دير المصلّبة

«لقد أشرق اليوم صليبك الكريم أيها المسيح منصوبًا في مكان الجلجلة المجيد. يسطعُ لامعًا مثل الشمس النيّرة. وبارتفاعه على جبلك المقدس يدلُّ دلالةً واضحة على أنَّك بهِ قد رَفَعْتَ طبيعتنا إلى السماوات لمحبّتك للبشر أيها المخلص القدير.» هذا ما يقوله مرنم الكنيسة.

أيّها الأخوة الأحباء،

أيّها الزّوار الأتقياء الحسنو العبادة،

قمنا في هذا المكان والموضع المقدس اليوم بتتميم سِرّ الشكر، بمناسبة رفع الصليب الكريم في هذه الكنيسة المقدسة والتي **بحسب التقليد:** «أن لوط ابن أخ رئيس الآباء إبراهيم، قد قام بزرع ثلاثة أغصان مشتعلة. وتلك الأغصان هي: الصنوبر، السرو والأَرْز، زُرعت في هذا الموقع وَسَقَاها لوط من مياه نهر الأردن، وهذه الشجرات الثلاث صارت شجرة واحدة اقتطع منها غُصنٌ، واحد لخشبة الصليب المقدس الذي صلب عليها مخلصنا المسيح على الجلجلة.»

وفي هذا الدير التاريخي الذي يحمل اسم الصليب، قد تممنا التذكار السنوي والذي يشكل امتدادًا للعيد العظيم، والذي حدث قبل أيامٍ في المكان الكُلّي الوقار حيث موضع الجمجمة، أي مكان الصلب حيث الجلجلة الرهيبة.

إن كنيسة أورشليم المقدسة هي شاهدة أمينة وصادقة على الأماكن المقدسة، وتُمجد دومًا الله الواحد المثلث الأقانيم، وذلك من خلال الصليب، لأن السماويين قد أنبأوا البشر بهذا المجد كما يقول مرنم الكنيسة: «لقد سبقت أصوات الأنبياء فأنبأتَ بالعود المقدَّس. الذي به أُعتق آدم من لعنة الموت القديمة. أما الخليقة فبرفعِه اليوم ترفع أصواتها مستمدةً من لدن الله الرحمة الغنية. فيا أيها السيِّد يا من وحدهُ لا تُحدُّ مراحمه كُن عطوفًا علينا وخلّص نفوسنا.»

بكلام آخر ليس فقط آدم القديم قد تحرّر من بلى الموت والفساد، بل إن المسكونة قاطبةً مدعوة لأن تأخذ الحرية الممجدة التي لأبناء الله، كما يُعَلِّم القديس بولس الرسول قائلًا: «لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ.» (رومية ٨: ٢١)

إن إيجاد الصليب الكريم من **القديسة المغبوطة هيلانة**، ورفعه على يد **بطريرك أوروشليم مكاريوس** يشكلان حدثين تاريخيين عالميين وذلك لأن هذا الحدث يختص بطبيعة البشر عامة مسيحيين أو غير مسيحيين، مؤمنين أو غير مؤمنين.

إن صليب المسيح هو رمز التضحية الكبرى للبار أي ابن الإنسان. وذلك لأنه يُجسّد التواضع الأقصى من جهة، ولقوة التوبة والمغفرة من جهة أخرى، وذلك لأنه عندما كان المسيح على الصليب صرخ قائلًا: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ.» (لوقا ٢٣: ٣٤)

وبكلام آخر إن سرّ الصليب يؤكد ويختم على سرّ التدبير الإلهي الذي لا يوصف والذي هو خلاص العالم أجمع في المسيح. وعلاوة على ذلك فإن رفع الصليب يُظهر انتصار تضحية ومحبة المسيح الحقيقية، وتُظهر جسد المسيح السِّرّيّ أي الكنيسة.

فها إن القديس بولس الرسول الذي ٱختُطفَ إلى الفردوس إلى السماء الثالثة ، سمع الأقوال الإلهية التي لا توصف ورأى ما لم تَرَهُ عينٌ يكتب في رسالته إلى أهل غلاطية:« وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غلاطية ٦:١٤)

وبتوضيح أكثر أي إن القديس بولس الرسول يقول: إن افتخاري هو بإيماني بموت الرب على الصليب، والذي به أمات الموت وأفقد العالم قوته لي، وأنا أيضًا قد مات العالم بالنسبة لي.

ويقول **القديس يوحنا الدمشقي** إن كل عجيبة قد صنعها المسيح، وكل عملٍ قد فعله هو عظيم وجدير بكل مديح ولكن ما هو أعجب من الكل هو **صليب الرب الكريم**. وذلك لأنه فقط بالصليب قد أُلغي الموت، وحُلت رباطات الخطيئة الجديّة. بالصليب فقط، قد مُنحت القيامة وفُتحت أبواب الفردوس بصليب ربنا يسوع المسيح. فيقول بولس الرسول: «أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ

اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ.» (رومية ٦ : ٣).

«لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ» (غلاطية ٣ : ٢٧).

«وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ.» (١كور١ : ٢٤).

لهذا أيها الإخوة الأحبة إننا نُكَرِّم ونسجد لصليب المسيح بشكل خاص، ونمجد في نفس الوقت قيامته المجيدة في الموضع الذي قامت فيه قدماه، كما يقول داود النبي «لِنَدْخُلْ إِلَى مَسَاكِنِهِ. لِنَسْجُدْ عِنْدَ مَوْطِئِ قَدَمَيْهِ.» (مزمور١٣١ : ٧). فإن داود يذكر الصليب مُظهرًا ما سيلحق الصليب والتي هي «قُمْ يَا رَبُّ إِلَى رَاحَتِكَ» (مزمور ١٣١ : ٨) لأن بعد الصليب قد أتت القيامة كما يفسر **القديس يوحنا الدمشقي**.

فنحن اليوم لدى معاينتنا خشبة الصليب مرفوعةً، لنقدمّ التعظيم للإله الذي صُلب عليها بالجسد لفرط صلاحه. ونهتف مع المرتل قائلين: لقد تمّ يا الله ما فاه به نبيُّك موسى قائلًا ستعاينون حياتكم معلَّقةً تجاه أعينكم. فإن الصليب اليوم يُرفع فيُعتِق العالم من الضلالة. اليوم تتجدد قيامة المسيح فتبتهج أقطار الأرض متهللةً. وتسبحك بصنوجٍ داودية قائلةً: «لقد صنعت يا الله خلاصا في وسط الأرض، أعني الصليب والقيامة اللذين بهما خلصتنا ايها الصالح المحب البشر.» فيا أيها الرب القدير المجد لك.

كل عام وانتم بألف بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

عندما يتزعزع الايمان الأب باييسيوس

يا أبي، لماذا يفقد أُناس كثيرون ايمانهم؟

– إن لم ينتبه المرء لمواضيع الإيمان والعبادة فإنه تدريجيًا ينسى ويمكن ان يصير عديم الاحساس، ويصل لمرحلة الّا يؤمن بشيء

– لكن يا أبي، البعض يقولون ان ايمانهم تزعزع حين رأوا أُناسًا صالحين يتألمون.

– حتى لو حَرَقَ الله كل الصالحين، يجب الّا يفكر المرء بأفكار شريرة، بل علية ان يضع فى فكره ان الله كل ما يصنعه يصنعه عن محبة. عليه ان يعرف كيف يعمل الله؟ فالله حين يسمح بحدوث شيء شرير، ذلك لأن شيئًا صالحًا سيخرج من هذا الحدث.

– يا أبي، الاطفال الصغار أيضًا يتشكّكون اليوم لأن في مدارسهم اساتذتهم يعلمونهم الالحاد.

– لماذا يتشكّكون! **القديسة كاترينا** كان عمرها خمسة عشر عاما، وبمعرفتها وحكمتها كانت تُفحم الفلاسفة، يا ابني يجب ان يكون المرء ثابتًا ولا يتغير ولا يقبل اية تنازلات تجاه مواضيع الايمان والوطن.

– يا أبي ، قديمًا كنت أصلي بإيمان، وكان الله يستجيب لِما اطلبه ، لكن الآن ليس لدي هذا الايمان ، ما هو السبب؟

– السبب يا ابني يكمن في حساباتك العقلية، فالمنطقيّة البشريّة تزعزع الايمان، قال الرب: «وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلاَةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ» (مت٢١:٢٢). فى الحياة الروحية نحن نتحرك بمعجزات ، واحد + اثنين لا يساوى دائمًا ثلاثة بل ممكن خمس آلاف أو مليون. الحاجة الى استعداد وتهيئة وقصد حسن وثقة . ها، بالنسبه لصلب المسيح توجد تفاصيل كثيرة كانت لدى الانبياء – حتى ماذا سوف يصنعون برداءة، وماذا سيصنعون بثمن الخيانة، بأنهم سوف يشترون به حقلًا ليدفنوا فيه الغرباء، لكن اليهود لم يدركوا حدث الصلب .

عن كتاب: الآلام والفضائل

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا
فَلَا تَكُنْ
عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا

وَقَدْ يُهْلِكُ ٱلْأِنْسَانَ كَثْرَةُ مَالِهِ
كَمَا يُذْبَحُ ٱلطَّاوُوس مِنْ أَجْلِ رِيشِهِ

النُسْكُ في حياة الرهبنة للقديس باسيليوس الكبير

❁ وَسُئِل القديس باسيليوس أيضًا: «هل ينبغي التواني عن عمل اليد، من أجل الصلاة ؟!» وأي الأوقات التي يليق فيها العمل؟ وهل العمل أفضل؟!.

فأجاب القديس وقال:

✝ – إنَّ ربّنا يسوع المسيح يقول: «إنّ الأجير (الفاعل) مستحقٌ طعامه (أجرته)» (متى ١٠: ١٠).

✝ – ويأمرنا الرسول بولس بأن نتعب، ونعمل بأيدينا، لكي نجد ما نعطيه للمحتاج. (أع٢٠: ٣٥).

✝ – فيجب عدم التفكير في أن عبادة الله، صارت لنا حجة (ذريعة) للكسل، أو سببًا لكي نتهرَّب من التعب، بل نقول مع الرسول: «فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ، فِي أَسْهَارٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ، فِي أَصْوَامٍ مِرَارًا كَثِيرَةً، فِي بَرْدٍ وَعُرْيٍ.» (٢كو١١: ٢٧).

✝ – والعمل (اليدوي) نافعٌ، ليس فقط لمجرّد قمع الجسد، (بإرهاقه بالعمل اليدوي)، بل أيضًا لإظهار محبتنا لرفيقنا (المحتاج) كما قال بولس الرسول: «فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَيْتُكُمْ أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنَّكُمْ تَتْعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الضُّعَفَاءَ، مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ: مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ».(أع٢٠: ٣٥).

وليكن لكم ما تُعطون المحتاج، لكي تستحقوا – أنتم أيضًا – أن تسمعوا صوت الربّ القائل: « تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ.» (متى ٢٥: ٣٤-٣٦).

وقول الرسول أيضًا: «أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغِلَ فَلاَ يَأْكُلْ أَيْضًا» (٢ تسا ٣: ١٠).

✝ – وبما أنه من الضروري أن يأكل الإنسان كل يوم؛ لذلك يلزمه أن يعمل كل يوم لقُوته. وقد قال الرسول بولس: « وَلاَ أَكَلْنَا خُبْزًا مَجَّانًا مِنْ أَحَدٍ، بَلْ كُنَّا نَشْتَغِلُ بِتَعَبٍ وَكَدٍّ لَيْلاً وَنَهَارًا، لِكَيْ لاَ نُثَقِّلَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ. لَيْسَ أَنْ لاَ سُلْطَانَ لَنَا، بَلْ لِكَيْ نُعْطِيَكُمْ أَنْفُسَنَا قُدْوَةً حَتَّى تَتَمَثَّلُوا بِنَا.» (٢ تسا ٣: ٩). (كان للقديس بولس سلطان أن يعيش من مال الكرازة بالمسيح).

✝ – وَقَرَنَ الربّ يسوع المسيح الحُبْث بالكَسَل، إذ قال: «أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ وَالْكَسْلاَنُ» (متى ٢٥: ٢٦).

✝ – وَامتدح سليمان الحكيم العمل، ووبَّخَ الكَسل، وأعلن أن أصغر الحشرات أفضل منه في العمل، وقال: «اِذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ. تَأَمَّلْ طُرُقَهَا وَكُنْ حَكِيمًا.» (امثال ٦: ٦).

✝ – وَسيُطالبنا الله – يوم الدينونة – عن عمل أيدينا، بمقدار القوّة التي أعطانا إيّاها، «فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيرًا يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ، وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيرًا يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرَ.» (لو١٢: ٤٨). وهذا ظاهر من الذي أُئتمن على الوزنة الواحدة، والذي سُمِّيَ بالعبد الشرير الكسلان. «ثُمَّ جَاءَ أَيْضًا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ الْوَاحِدَةَ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ، تَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ، وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ. فَخِفْتُ وَمَضَيْتُ وَأَخْفَيْتُ وَزْنَتَكَ فِي الأَرْضِ. هُوَذَا الَّذِي لَكَ. فَأَجَابَ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ وَالْكَسْلاَنُ، عَرَفْتَ أَنِّي أَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ أَزْرَعْ، وَأَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَبْذُرْ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ آخُذُ الَّذِي لِي مَعَ رِبًا. فَخُذُوا مِنْهُ الْوَزْنَةَ وَأَعْطُوهَا لِلَّذِي لَهُ الْعَشْرُ وَزَنَاتٍ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزْدَادُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ. وَالْعَبْدُ الْبَطَّالُ اطْرَحُوهُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ.» (٢٥: ٢٤-٣٠).

✝ – وَالعمل له أوقاته، والصلاة (السواعي) لها أوقاتها، كما يقول سليمان الحكيم «لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتٌ» (جا ٣: ١). وينبغي أن يحرّك الإنسان يديه في العمل، ويحرّك لسانه بالترتيل، إن أمكنه فعل ذلك.

✝ – كما يجب تخصيص وقت للقراءة، لأنها تنفعنا جدًّا، في بُنيان الإيمان والنمو في معارج الفضائل والتهذّب بأقوال الآباء.

✝ – وإن لم نتمكَّن من العمل هكذا بلساننا (بصوت مرتفع)، فلنبارك الرب (نشكره) بقلوبنا، بتسابيح روحانية (أف ٥: ١٩).

يونان النبي والمزايا اللاهوتية في أسفاره

للقديس كيرلّس الإسكندري

د. جورج عوض إبراهيم

١) يونان النبي هو مثال للمسيح:

يؤكد **القديس كيرلّس** أن **يونان النبي** هو (مِثال Τύπος تيبوس) للمسيح من شهادة المسيح ذاته حين سأله اليهود أن يُظهر لهم آية، حيث قال: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ» (مت١٢: ٣٩، ٤٠). بالتالي ما حدث ليونان النبي أعطى لنا صورة عن سر المسيح لأجلنا.

٢) المثال لا يُعَبِّر في كل تفاصيله عن سِرّ المسيح:

ينصحنا القديس كيرلّس بأن نفحص فقط الأمور المفيدة التي تشير إلى شخص المسيح وعمله ونميزها عن الأمور غير المفيدة. ويعطينا مثالين:

أ) موسى النبي: لقد كان **موسى** مثالًا **للمسيح** لكن لا نستطيع أن ننسب للمسيح كل ما يتعلق بموسى، على سبيل المثال، كان موسى بأعترافه أنه لا صاحب كلام، وثقيل الفم وغير قادر على إبلاغ الرسالة، حيث قال: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذُ أَمْسِ وَلاَ أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ، وَلاَ مِنْ حِينِ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ» (خر٤: ١٠) وتوسَّل قائلًا: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ» (خر٤: ١٣). لكن المسيح لم يكن ثقيل اللسان، ولا غير بليغ في الكلام مثل موسى بل دعاه **أشعياء النبي بالبوق العظيم**: «وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّهُ يُضْرَبُ بِبُوقٍ عَظِيمٍ، فَيَأْتِي التَّائِهُونَ فِي أَرْضِ أَشُّورَ، وَالْمَنْفِيُّونَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَيَسْجُدُونَ لِلرَّبِّ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ فِي أُورُشَلِيمَ» (إش٢٧: ١٣).

الآن نتساءَل: في أي أمر كان موسى مثالًا للمسيح؟

يجيب القديس كيرلّس، مُؤكِدًا على أن وساطة موسى بين الله وشعب إسرائيل هي مثال لوساطة المسيح بين الله والبشر.

ب) هارون: لقد كان هارون أيضًا مثال للمسيح لكن لا نستطيع أن ننسب للمسيح كل ما يتعلق بهارون، لأنه لم يكن بلا لوم تمامًا حيث أنه كما شرح القديس كيرلّس قد صنع لبني إسرائيل عِجلًا في البَريّة وعبدوه. (انظر خر٣٢: ٤).

إذن المبدأ الذي شدَّد عليه القديس كيرلّس هو أنه ليست كل الأمور المكتوبة مفيدة للرؤى الروحية. ينصحنا القديس كيرلّس بأننا حين نفحص شخصية ما، كمثال للمسيح نهتم بالأمور الضرورية مقدمين دائمًا المفيد بطبيعته للهدف الذي يرمز إليه، أما الأمور الأخرى فإننا نتجاوزها.

هذا المبدأ يسري أيضًا على يونان النبي لأن كل ما يتعلق به ليس بالضرورة له فائدة. على سبيل المثال: ﴿أُرسل لكي يكرز لأهل نينوى، ولكن طلب أن يختفي عن الله وكذلك رأيناه غير مستعد لرسالته﴾. أما عن الابن يقول القديس كيرلس: ﴿أُرسل أيضًا الابن بواسطة الله الآب ليكرز للشعوب لكنه لم يُظهر أنه غير مُهَيَّء لخدمته ولا طلب أن يختفي أمام أعين الله﴾. لكن حين ابتعله الحوت وبعد ثلاثة أيام قذفه (أنظر مت١٢: ٤٠) ثم بعد ذلك ذهب إلى أهل نينوى وتمَّم خدمته ، كان يشير إلى المسيح الذي قَبِلَ الموت طوعًا، الأمر المشار إليه في توسل يونان للملاحين: «خذوني واطرحوني في البحر فيسكن البحر عنكم» (يونان١: ١٢) وبقي (المسيح) في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ (انظر مت١٢: ٤٠) وقام ثانيةً وبعد ذلك ذهب إلى الجليل وأمر بأن تكون الكرازة لجميع الأمم (أنظر مت٢٨: ١٩).

الخلاصة يوجزها القديس كيرلس، قائلًا: ﴿لأنه كما يطير النحل على المراعي والورود لكي يجمع المفيد لصناعة أقراص العسل، هكذا أيضًا المفسر الحكيم يبحث في الكتاب المقدس جامعًا دائمًا كل ما يساهم في توضيح أسرار المسيح وصانعًا منه حديثًا كاملًا بلا لوم﴾.

٣) الله هو للجميع: يهود وأمم.:

يبرز القديس كيرلس حقيقة أن الله هو للجميع: لليهود وللأمم ويستشهد بالرسول بولس: « أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضًا؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضًا لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ، هُوَ الَّذِي سَيُبَرِّرُ الْخِتَانَ بِالإِيمَانِ وَالْغُرْلَةَ بِالإِيمَانِ. أَفَنُبْطِلُ النَّامُوسَ بِالإِيمَانِ؟ حَاشَا! بَلْ نُثَبِّتُ النَّامُوسَ.» (رومية ٣: ٢٩-٣١)، وكذلك يستشهد بالرسول بطرس: «الْحَقَّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ. بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ» (أع١٠: ٣٤. ٣٥). ثم يبرهن هذه الحقيقة من خلال قصة الإنسان وسقوطه وفدائه بواسطة المسيح.

الخلق: ﴿ لأنه خلق «السموات والأرض والبحر وكل ما فيها»

(مز١٤٥: ٦)، خلق أيضًا الإنسان «على صورتنا كشبهنا» (تك ١: ٢٧) حتى يتمِّم الأعمال التي تقود إلى الفضيلة، لكي يحيا في بهاءٍ بالقداسة الطوباوية﴾.

السقوط: ﴿ ثم بعد ذلك انجذب (الإنسان) إلى الخطيئة منخدعًا من حِيَل الشيطان وهكذا سُلِّمَ لِلَّعْنَةِ والفساد﴾.

تدبير الفداء: ﴿ لكن حُدِّدَ مُسبقًا وعُرِف قبل بداية العالم أن المسيح سيعيد إصلاح الكل، لأن الله الآب أراد أن يَجمع كل شيء في المسيح . «لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ» (أفسس١: ١٠)﴾. بالتالي جمع الكل في المسيح يشمل الأمم واليهود أي الجميع بدون استثناء، فكما خلق الله الجميع هكذا فداؤه وجمع الكل بواسطته هو للجميع.

٤) أظهر الله، قبل تجسد الابن، حُبه للجميع: مدينة نينوى نموذجًا:

يؤكد القديس كيرلّس أنه قبل مجيء الابن الوحيد أظهر الله عنايته بالضالين والذين انخدعوا عن جهل، لذا أمر النبي يونان ليذهب إلى نينوى. كانت نينوى كما يذكر القديس حقائق تاريخية عنها، مدينة فارسية تُوجد في الشرق، وكانت مشهورة بعبادة الأصنام حيث قال عنها **النبي إرميا** «كانت أرض المنحوتات» (إر٥٠: ٣٨). وبالرغم من وجود مُدن كثيرة متاخمة لليهودية تعبد الأصنام، إلَّا أن الله أرسل يونان إلى مدينة نينوى البعيدة، والسبب في رأي القديس كيرلّس أنها كانت **مُولَعَةً بالسِّحْرِ** الذي يبغضه الله. ويستشهد القديس بما قيل عن **السِّحْرِ** بفم ناحوم النبي: « مِنْ أَجْلِ زِنَى الزَّانِيَةِ الْحَسَنَةِ الْجَمَالِ صَاحِبَةِ السِّحْرِ الْبَائِعَةِ أُمَمًا بِزِنَاهَا، وَقَبَائِلَ بِسِحْرِهَا.» (ناحوم٣: ٤) بالتالي ﴿ أراد الله أن يظهر شيئًا مُفيدًا لهؤلاء الأقدمين بأن هؤلاء الذين ابتعدوا جِدًّا، وأُمسكوا في فرصة الضلال، سوف ينجذبون في وقت ما إلى شبكة معرفة الحق حتى لو كانوا قُساةً ووصلوا للدرجة التي لا ينفع فيها أي لجام يضبطهم﴾.

٥) كلمة الله مقتدرة:

يُرجع القديس كيرلّس معرفة أهل نينوى للحق إلى **كلمة الله** حيث يقول: ﴿لأن كلمة الله قادرة أن تُغذّي العقل وتقنعه وتعلمه كل ما سوف يجعله حكيمًا. إسمع ما قاله **لأرميا النبي**: « لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ الْجُنُودِ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ تَتَكَلَّمُونَ بِهذِهِ الْكَلِمَةِ، هأَنَذَا جَاعِلٌ كَلاَمِي فِي فَمِكَ نَارًا، وَهذَا الشَّعْبَ حَطَبًا، فَتَأْكُلُهُمْ » (إر٥: ١٤) وأيضًا « أَلَيْسَتْ هكَذَا كَلِمَتِي كَنَارٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَكَمِطْرَقَةٍ تُحَطِّمُ الصَّخْرَ؟» (إر٢٣: ٢٩)﴾.

٦) الهدف من إرسالية يونان:

يؤكد القديس كيرلّس على أن الهدف من إرسالية يونان إلى أهل نينوى، هي البرهنة على صلاح الله الذي سوف يظهره الله في وقت ما لأولئك الذين ضلوا عن جهل. كذلك هذه الإرسالية بحسب القديس كيرلّس تهدف إلى **إدانة إسرائيل**، لأن تربيته كانت صعبة جدًا إذ كان **غير مطيع وعاصيًا** ولم يبال بنواميس الله. ثم يعقد مقارنة بين أهل نينوى وإسرائيل: أهل نينوى تغيروا مباشرة وتابوا، بالرغم من أن ضلالتهم كانت عظيمة جدًا **بينما أولئك اليهود احتقروا موسى والأنبياء، بل احتقروا المسيح ذاته** بالرغم من أنه أرفق تعليمه بمعجزات، وبالرغم أنه **الله بطبيعته** إلَّا أنه صار إنسانًا لكي يخلص كل المسكونة. وهذا الأمر يدين **بني إسرائيل**: « رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هُهُنَا!» (مت١٢: ٤١).

إن يونان هَدَّدَ فقط بهلاك أهل نينوى، بينما المسيح وبخهم بمعجزاته التي لا تُوصف. المعجزة كأنها ماكينة جذب – كما يشرح القديس كيرلّس – تساعد دائمًا القول من جهة تصديقه والإيمان به.

٧) الهروب من المسئولية ومحاولة تفسيرها من جانب القديس كيرلّس:

يؤكد القديس كيرلّس على أن السِّفر لا يتحدث عن الدافع الذي جعل يونان يذهب بعيدًا عن الله، بل تحدث عن طريقة ابتعاده، إلَّا أنه يطرح بعض الحلول إذ يقول إنه كان يريد أن يرفض الرسالة، ويهرب من الخدمة ويعترف إنه لا يفهم لماذا ذهب إلى **ترشيش**. وبالرغم من ذلك يقول إن القديسين الأقدمين كانت معرفتهم بالله معرفة قليلة حيث كان الاعتقاد بأن سيادة إله الكل هي مقصورة فقط على بلاد اليهودية، واستحالة امتدادها إلى أرض أُخرى. ويستشهد القديس كيرلس **بيعقوب البطريرك** الذي ترك منزله وذهب إلى **لابان** في منطقة ما بين النهرين. وعندما رأى سُلَّمًا من الأرض يصل إلى السماء وملائكة الله تصعد وتنزل عليه، وعلى قمة السُلَّم هناك الرب واقف عليها. وقام وقال:«حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!» (تك٢٨: ١٦). أيضًا بحسب القديس كيرلّس ربما خاف يونان من أهل نينوى ليفعلوا به شرًا، ويقتلوه كمنافق وَمُضِلٍّ وكاذب وأنه يتعب باطلًا لإقناعهم. هكذا يفسر القديس كيرلّس قول يونان: «صَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي» (يونان٤: ٢-٣).

٨) الله يرتب كل الأمور:

بحسب القديس كيرلّس، كل ما حدث كان بترتيب الله حيث يقول: ﴿ انطلقت الأمواج ضد السفينة حسب ترتيب الله للأمور وكذلك أعاصير شديدة، جعلت البحر يضطرب ويهيج بتأثير الريح العاتية... أمر الله الحوت﴾.

ويوضح مسألة أن الرب أعَدَّ حوتًا عظيمًا ليبتلع يونان بأن الكل يذعن لمشيئة الله، وأن طريقة طاعة الكل لهي سرية تمامًا. أما كون أن الحوت يبتلع يونان بدون أن يصيبه بأي أذى وبقى في داخله ثلاثة أيام

وثلاث ليالٍ، يرجعه القديس كيرلّس إلى أن هذا طبيعي لأن الإنجاز، هو إنجاز الله ثم يتساءل مَنْ هو الذي سوف يتشكك في الأمر؟ لأن الله هو كُلي القدرة وَيُغَيِّر طبائع الكائنات بسهولة كما يريد هو، ولا يقف شيء ضد مشيئاته غير المنظورة. لأن هذا الذي يَفْسِدُ بطبيعته يمكن أن ينتصر على الفساد لو أراد الله غيرُ المتزعزع، غير الخاضع لنواميس الفساد، سوف يخضع بسهولة للفساد. لأن طبيعة الكائنات تصير طبقًا لإرادة الخالق. ويعترف القديس كيرلّس بأن أي شرح منطقي لا يستطيع أن يُعطي، ولا هو ممكن لأمور الله أن تُدرك بالعقل لأنه «مَنْ عَرِفَ فكر الرب؟» (رو١١: ٣٤). العقل لا يستطيع أن يتخطى الأمور التي تفوق المنطق؟ بالتالي عدم الإيمان هو أمر بالنسبة لنا أمرٌ خطير وغير لائق.

٩) التفسير الخريستولوجي لِما حدث ليونان:

يقرأ القديس كيرلّس ما حدث ليونان قراءة خريستولوجية يشرح فيها تدبير الله لخلاص البشرية، إذ يقول: ﴿ لقد صارت الأرض في خطر، والجنس البشري تعرض لشتاء قارص، وأمواج الخطيئة انْقَضَّتْ عليه واللّذة المرعبة والتي لا تطاق التَفَّتْ عليه وَغَطَّتْهُ، والفساد مثل أمواج هائجة هبت عليه، والرياح الشديدة المتوحشة قهرته، أقصد **رياح الشيطان والقوات الشريرة** التي توجد تحت سيادته وتعمل معه. لأننا كُنا نوجد في هذه الحالة، وتراءف علينا الخالق إذ أرسل الله الآب من السماء ابنه الذي أخذ جسدًا بشريًا، وجاء إلى الأرض المعرّضة للأخطار، وللشتاء القارص وأسلم ذاته بإرادته للموت لكي تتوقف العاصفة، ويسكن البحر ويهدأ الموج وتنتهي العاصفة، لأننا خَلصُنا بموت المسيح. والشتاء مرَّ وزال, والنوء والأمواج توقفت، وضعفت الرياح وعمَّ الهدوء، والآن نُوجد في سكينة روحية طالما تألم المسيح لأجلنا. شيء مثل هذه الأشياء موجود في الكتابات الإنجيلية. ففي مرةٍ تعذبت سفينة الرسل من الأمواج وَهُم في بحيرة طبرية. إذ هبت فجأة عاصفة شديدة وتعرّضوا لعذاب شديد وقارص لا يُحتمل، ووجدوا أنفسهم أمام خطر عظيم ، فأيقظوا المسيح الذي كان معهم صارخين بقوة: «يَا سَيِّدُ، نَجِّنَا فَإِنَّنَا نَهْلِكُ!» (مت٨: ٢٥). وللتو قام المسيح وانتهر البحر بسلطانة «فَصَارَ هُدُوء عَظِيمٌ.» (مت٨: ٢٦) وأنقذ التلاميذ. إذن الحدث كان نموذجًا لكل ما صار للطبيعة البشرية. لأننا بواسطة المسيح تحررنا من **الموت والفساد والخطيئة والشهوات**، والشتاء القديم قد ابتعد والأمور البشرية عادت مرة أخرى إلى الهدوء﴾.

القديس أفرام الجديد
والمراهق مدمن المخدرات

القصة التالية وقعت في العام ١٩٩٠ في الوقت المناسب لشاب مراهق أمريكي يوناني مدمن بشكل كبير على المخدرات. سائق سيارة أجرة من اثينا كتب القصة كلمة بكلمة كما قالها له الشاب عندما أقله إلى مركز لإعادة التأهيل بعد لقائه **بالقديس افرام من نيا ماكري** ، الذي هو شفيع الذين يعانون من ادمان المخدرات. وكان سائق سيارة الأجرة نشر هذه القصة في صحيفة TYPOS ORTHODOX اليونانية.

بعد الظهر، كان صخبًا كالمعتاد في وسط مدينة أثينا. كان هناك الكثير من الناس في **موقف أمونيا** لسيارات الأجرة.

«لكوكاكي، من فضلك!»

«بكل سرور»، أجبت. كان هذا كل حوارنا حتى نهاية الطريق، لأن ملامح الراكب وتصرفاته لم تترك أي مجال للمحادثة.

تَرَجَّل الراكب في شارع Veikos لحضور مؤتمر للقديس يوحنا في Gargareta وعلى بعد بضعة أمتار أخرى أشار لي أحدهم بالوقوف وقد أشار بطريقة مميزة.

راكبي الجديد كان شابًا – بين ٢٥–٢٧ سنة – متوسط الطول، يحمل حقيبة، وضعت حاجياته في صندوق السيارة، وجلس الشاب في المقعد الأمامي.

وبعبارة شعرية كنت استعملتها في الماضي: «وأنت تغادر في رحلتك إلى **إيثاكا**، أتمنى أن يكون طريقك طويلًا ورحلتك رائعة».الذي قصدته: «إلى أين؟»

«نعم، يا صديقي، إلى **إيثاكا**، ولكن ليس إلى الجزيرة، كما تتصور،

ولكن لمركز **إيثاكا** لإزالة السموم»، هكذا كانت اجابته، التي جعلتني غير قادر على الكلام لثوانٍ قليلة. «إلى محطة القطار في لاريسا، من فضلك،» اضاف.

رَدّ راكبي الشاب لم يكن متوقعًا البتة، لأن لا شيء من مظهره الخارجي (العيون، والتعبير، والملابس، والسلوك) تكشف شغفه اللعين بإدمان للمخدرات. الكثير من المشاعر (الألم، الحزن، والتعاطف، والحب) تملكتني الواحدة تلو الآخرى، اعتصرت قلبي بشدة وانتقل الأمر الى صدري، نزلت دمعة على خدي إزاء محنة أخي، خليقة الله. حاولت أن اتمالك نفسي، أردت أن أعرف ما هي ظروف التي جعلته يتوقف عن التعاطي، لأنني كنت بدوري أبًا لأطفال على وشك دخول سن المراهقة.

بعدما تعارفنا، سألت بول اذا كان بامكانه أن يخبرني بشيء عن حياته وإدمانه، إذا تذكر مثل هذه الأحداث لن يؤذيه أو يزعجه. وافق بسهولة على طلبي، وهو مشكور على هذا.

«في البداية قد مَرَّ شهران منذ آخر مرة اخذت ذلك السم، وأشعر الآن مثل أي شخص عادي ، ولا تتملكني الرغبة على الإطلاق في وضعه بعروقي مرة أخرى، وأنا لا أدين بهذا لجهودي الخاصة، وانما تمامًا لقوة الله العجيبة وقديسيه، ولكن اسمح لي أن أبدأ منذ البداية، بما أنك ترغب أن تسمع عن ذلك.

لقد وُلدت في **أثينا**، في **كوكاكي** على وجه الدقة، من حيث أقلتني، وعشت هناك حتى الثامنة من عمري. أنا طفل وحيد والِدَيَّ وهما يحبانني بشكل مُرْضٍ ويُشبعان جميع نزواتي. عندما كنت في الثامنة رحلت مع أهلي لأمريكا من أجل حياة أفضل.

أقاربي هناك ساعدوا والدي بالعثور على عمل وأنا التحقت بالمدرسة. وفي أثناء نُموي نَمَتْ معي رغباتي التي لا معنى لها ورذائلي. بحسب شخصيتي، اختلطت بسهولة مع رفقة سيئة وبسرعة جربت **الماريجوانا والحشيش**. مع مرور الأعوام، لم تعد المخدرات الخفيفة تشبع رغباتي ورغبات أصدقائي. هكذا بدأنا بتعاطي المخدرات الثقيلة، والتي وجدتها في المحيط نفسه، وبنفس السهولة مثل المخدرات الخفيفة. ولكن هذه كانت مُكلفة، وأنا لم يكن لدي وظيفة. في البداية، سرقت من جيوب ومحافظ والدي. ولكن مع مرور الوقت، وعندما احتجت إلى جرعات أكبر، واكتشف والدي الأمر، وصلت إلى درجة أنني ضربت أهلي لأخذ المال. فهمت أن وضعي كان حَرِجًا، لكن من المستحيل عَلَيَّ العودة. هرع بي والدي الى الأطباء وعلماء النفس على أمل أن يتمكنوا من القيام بشيء ما، ولكن دون جدوى، لم يكن هناك بصيص أمل من أي مكان. بعضٌ منهم، والعلماءُ البارزون، اخبروني اذا لم أخرج بسرعة من هذه البيئة لن يكون لدي الكثير لأعيشه.

خلال ذلك الوقت، في احد الأيام كنت في البيت وحدي في حالة من اليأس، زائر غريب، لم يسبق لي أن رأيته، ظهر أمامي. كان متوسط القامة، له عيون مستديرة كبيرة ، وفراء أسود كثيف كان طولها أكثر من خمسة عشر سنتيمترا. لديه أيضا قرون وذيل. صوته المتعالي الثابت واقناعه المخيف لم يترك مجالًا للاعتراض.

بدأ يُفَصِّلُ حياتي بدقة من الوقت الذي ولدت حتى تلك اللحظة، في الحين انني كنت أقول ببساطة، نعم. « لقد استمتعتَ في كل شيء،» قال لي في النهاية، «لم يبقَ لك شيء الَّا أن تأتي معي ....» «كيف؟» سألت.

«سوف تأخذ سيارة، قال، وسوف تتبع كذا وكذا طريق. سوف تسرع (لا أذكر الرقم)، وسوف أكون في انتظارك هناك .... «الطريق المذكور كان مستقيمًا لأميال عديدة، وعند نقطة معينة هناك انحناء بسيط، حيث من كان يقود بسرعة كبيرة جدًّا سوف يخرج عن الطريق ويصطدم بالجدار وَيُقتل. كنت قد سمعت عن حوادث كثيرة من هذا القبيل في تلك البقعة في الماضي. فاعلًا بالضبط كما أخبرني، أنا أيضًا، انتهى الأمر بي بالاصطدام بالحائط. لم يتم التعرف على السيارة تقريبًا، أصبت بأيصابة طفيفة، وبعد الأسعافات الأولية عدت الى المنزل.

بعد نحو عشرة أيام من وقوع الحادث، ظهر الزائر الغريب نفسه مرة أخرى في المنزل، في المطبخ هذه المرة. وكانت كشرة من الأستياء تعلو وجهه الوحشي المهيب. مع ايماءةٍ من رأسه إلى الخلف، وبنفس الصوت المميز قال لي، «أنت لم تحقق أي شيء.»

كنت جالسًا أُحدق في وجهه، مرتعبًا، وبالكاد تمكنت من أن أسأله ، «ماذا ينبغي أن أفعل؟»

«الآن سوف تأخذ **ثلاثة أضعاف** جرعتك المعتادة، وسوف تأتي بالتأكيد معي».

اختفى، وأنا لم أسأل نفسي حتى كيف دخل المنزل أو من هو. فورًا كانت الخطة موضع التنفيذ.

أعددت الجرعة في حقنة وحاولت أن أجد مكانا على جسدي المليء بثقوب. كانت الجرعة كبيرة وسقطت على الفور مغشيًا عليّ. بينما كنت في هذه الحالة، رأيت رجلًا طويل القامة يرتدي ثوب الكاهن، وقبعة سوداء رهبانية محفور عليها الصليب بالأمام «**لا تخف**»، قال لي. «سوف تتحسن، وعندما تعود إلى اليونان، تعال إلى بيتي. **أنا افرام** ».

نهضت وكأنني لم أخذ ذلك السم اللعين على الإطلاق. شعرت بالرغبة في المغادرة الى اليونان، وعندما أخبرت أمي هذه الرغبة، اندهشت واعتبرتها معجزة، لأن والديَّ كانا مرات عديدة من قبل حاولا إخراجي من تلك البيئة وفشلا.

رويت لأمي كل ما حدث معي، وأرادت أن ترافقني برحلتي. عندما وصلنا الى حَيِّنَا القديم، ذهبنا إلى كاهن الرعية هناك، وعلمت منه من كان الزائر الغريب وما كان يريد مني. كان **الشيطان** وكان يريد روحي. شكرت الله من أعماق روحي. بعد خمسة عشر يوما من اعترافي وصيامي، ناولني الكاهن الأسرار المقدسة. عندما رأيت أيقونة **القديس أفرام**، علمت أنه هو من أنقذني من ادماني الرهيب.

ذهبت إلى **نيا ماكري** وحضرت القداس الألهي وشكرت القديس. الآن انا ذاهب لهذه المؤسسة لأخرج من العالم لفترة من الوقت وللتأكد من أني لم أعد أحتاج المخدرات.»

مترجم من: MYSTAGOGY

الليتورجية الإلهيّة في دير ڤاتوبيدي العامر للروم الأرثوذكس – في جبل آثوس

الكنيسة ودورها

العظة الرابعة

المطران ايروثيوس فلاخوس

١) الكنيسة هي الفردوس الجديد

٢) خارج الكنيسة يوجد ضلال

٣) الرجوع إلى الفردوس

٤) الأسرار الثلاثة المحورية

٥) الكنيسة هي الجسد الحقيقي للمسيح

لأن حياة الإنسان الحقيقية تُوجد بالقرب من الله، لأجل هذا كان يجب على الابن الضال أن يرجع إلى بيته. لقد قلنا حتى الآن إن البيت هو الفردوس وشركة البشر مع الله. بعد السقوط، هذه الشركة صارت في الكنيسة التي هي الفردوس الحقيقي. بالتالي الإنسان الساقط يجب أن يرجع ثانيةً إلى بيته، الذي هو الكنيسة. ثم بعد ذلك، سوف نرى البُعد الإكليسيولوجي والإفخارستي لمَثَل الابن الضال, كما حلَّله **القديس يوحنا الذهبي الفم**.

هذا التحليل هو للمسيحيين وللموعظين، وبالتحديد تجاه هؤلاء الذين يتهيّئون لأن يعتَمِدوا، والمدعوين المستنيرين. لأجل هذا السبب لدى هذا التحليل محتوى إفخارستي. إنه من المعروف أن فترة الصوم الاربعيني تُهَيِّء الكنيسة بتركيز الموعظين لكي يقبلوا المعمودية. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أنه يجب أن نرى محبة الله للإنسان، خاصةً في هذه الفترة وللفائدة العامة، ولأجل النجوم المستقبلية التي سوف تشرق من جرن المعمودية المقدس. المعَمَّدونَ القادمون من جرن المعمودية يُدعوَن نجومًا لأنهم يُنيرون بواسطة **نعمة الروح القدس**. الشمس المنيرة هي الله والمعمَّدُون يقبلون النور الذهني لشمس البِرّ.

هناك حيث لا يُزرع قمح التعقل وكرمة الانضباط يسود الفقر المُدْقِعُ، والقحط الشديد. هذا لأن خارج البيت الروحي الذي هو الكنيسة يوجد جوع وحرمان روحي. مَنْ يشعر بهذه الحقيقة يقرّر أن يرجع مرّة أخرى إلى بيته الذي هرب منه. الأب محب البشر ينتظره، والذي هو مستعد أن يُظْهِر محبته ورأفته. ليست قضية تبادل تجاري، لكن إنسكاب المحبة للبشر. بالطبع، هذه المحبة والشركة تصير بأسرار الكنيسة. وكل الأوامر التي أصدرها الأب بعد رجوع إبنه تُظهر هذه الحقيقة: « فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ، لأَنَّ ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ» (لو١٥: ٢٢-٢٤). الحُلة التي أمر الأب أن يلبسوه إياها هي الحُلة الروحية التي صُنعت من نار الروح القدس. هذه الحُلة نُسجت في ماء المعمودية وتُظهر أن الإنسان البعيد عن الله قد عُرِّيَ وفقد جماله. نعمة الله ألبسته وزينته بالمعمودية، يلبس المرء نعمة الله : « لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ»

(غل٣:٢٧). أيضًا بالمعمودية تتنقى صورة الله في الانسان والتي أسودَّت واظلمت بالسقوط.

الخاتم الذي لَبِسَهُ في يده يُظهِر العربون الروحي وأنَّه يُلبَّس بواسطة الروح القدس. إنه مثال للتبنّي. إن كل أعداء الله يَخافون اللابس لهذا الخاتم. الخاتم يدل على الشركه مع الله، ويدل على ان لابسه هو ٱبن لله بحسب النعمة.

الحذاء الذي أَلْبَسُوه إياه في رجليه هو قوة الله، حتى لا يجد الشرير عَقِبَهُ عاريًا ويضربه ثانيةً، فهذا المُعَمَّدُ يدوس على التنين ويسحقه.

العجل المسمن هو المسيح ذاته الذي ذُبِحَ لأجل البشرية، إنه «حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ» (يو١:٢٩). هذا يرمز للإفخارستيا حيث الإنسان يبتهج روحيًا ويحصل من جديد على الحياة، لأن خارج **الكنيسة والإفخارستيا** يُوجَد **عالم السقوط والفساد**.

بحسب **نيقولا كاباسيلاس**، ثلاثة هي الأسرار الأساسية التي تُكوِّن الحياة الروحية. المعمودية، المسحة المقدسة والإفخارستيا. بالمعمودية يصير الإنسان روحيًا طالما جرن المعمودية هو الرحم الروحية للكنيسة. ومثلما في رحم الأم نحصل على الحياة البيولوجية، هكذا أيضًا في رحم الكنيسة، الجرن المقدس، نحصل على الحياة الروحية. المسحة هي الحركة التي تُفَعِّلُ النعمة التي نأخذها بواسطة المعمودية المقدسة. لا يحتاج فقط أن يُوْلَدَ المرء بل أيضًا أن يحيا بعد الولادة. هذا يصير بواسطة المسحة المقدسة. والإفخارستيا هي الحياة، طالما نتناول **جسد ودم المسيح**.

اعتمدنا ومُسحنا حتى نستطيع كأعضاء الكنيسة أن نشترك في الأسرار المقدسة ونحيا. لأنه بعد المعمودية المقدسة يجب أن يتبعها الإفخارستيا والتناول أو الشركة الإلهية. الإفخارستيا هي **مركز** لكل الأسرار وكل الحياة الكنسية. إنها تُظهِر أن الكنيسة هي جسد المسيح. قال أحد الفلاسفة الماديين إن الإنسان هو ما يأكله. بهذا أراد أن يرفض الميتافيزيقية وكل نظرياتها، ويشدّد على أن الحقيقة الوحيدة هي المادة. نستطيع أن نقبل هذا التعبير بمفهوم أنه عندما يأكل الإنسان فقط الغذاء المادي، فهو إنسان جسدي ومادي. أما عندما يأكل الطعام الروحي، أي جسد ٱبن الإنسان فهو يصير إنسانًا روحيًا، أي ناضجًا وكاملًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم وهو يحلِّل البُعد الإفخارستي لمثل **الابن الضال**، في النهاية يُوَجِّه نصائح للمعمَّدين وللمستنيرين الموجودين على أعتاب المعمودية. ينصحهم أن يرفضوا أي فكر غريب ويوجهون نفوسهم تجاه العريس السماويّ لكي يستمتعوا بنعمة الروح القدس، ويصف **المسيح** الذي ينتظر هؤلاء بأنه الفادي والطبيب الذي يعطي دواء الخلود، حيث الحُلة الروحية تنتظرهم من الآب والابن والروح القدس، طوبى للمستحقين أن يلبسوا هذه الحُلة.

هنا نجد الفرصة لكي نشدِّد على أن الكنيسة ليست منظومة بشرية، ولا هي منظومة اجتماعية أو جمعية خيريَّة بل الجسد الإلهي الإنساني **للمسيح**. توجد في الغرب نظرية مفادها هي أن جسد المسيح السِّرِيّ والذي أعضاؤه هم المعمدون، يختلف عن جسد المسيح الحقيقي الذي هو الخبز الإفخارستي الذي يُوجد على المائدة المقدسة. لكن في الكنيسة الأرثوذكسية، لا يوجد مثل هذا التمييز. نشدِّد على أنَّ الكنيسة هي جسد المسيح الذي هو في نفس الوقت الجسد الذي أخذه من كلية القداسة، ألَّهه وأقامه، الخبز الإفخارستي الذي يُوجد على المائدة المقدسة، والقديسون الذين يمثلون أعضاء جسد المسيح. هكذا ندرك جيدًا القيمة العظمى لأن يكون أحد مسيحيًا، عضوًا لجسد المسيح. بهذه الرؤية نشعر بالعطية العُظْمَى التي للمعمودية وللإفخارستيا.

بالمعمودية تصير أعضاؤنا أعضاء جسد المسيح. هذا يعني أن كل خطيئة شخصية لها ثِقَل خطير. بولس الرسول يقول عندما نُخطئ، نخطئ للمسيح حيث أنَّنا أعضاؤه. نحن لا ننتمي إلى ذواتنا بل **للمسيح**، الذي قدَّسنا وضمَّنا إلى ذاته. مثلما هي خطيئة أن ندوس جسد المسيح الذي يُوجد في الكأس المقدسة، كذلك أيضًا خطيئة هي أن ندوس ونحتقر خبز القربان (بيت القربان)، نفس الأمر خطيئة هي أن نخطئ بأعضائنا التي هي أعضاء جسد المسيح.

يجب أن نشعر بأن الكنيسة كبيت للاحتفال حيث يُذبح العجل المُسَمَّنُ والابتهاج الروحي لكل البشرية «اجتماع السماء والأرض».

الأسئلة والأجوبة للعظة الرابعة

١) ما هو الفردوس الجديد؟

الكنيسة الأرثوذكسية بواسطتها نصل إلى حياة الشركة مع الله.

٢) كيف يُفسَّر مَثَلُ الابن الضال من القديس يوحنا الذهبي الفم فيما يتعلق بمعمودية الموعظين؟

البيت هو الكنيسة. الحُلة هي نعمة الروح القدس. الخاتم يُظهِر العربون الروحي، وأنه يُلبَّس بواسطة الروح القدس. والخاتم يعلن البنوة. الحذاء هو قوة الله حتى لا يُضْرَبَ الإنسان من الشيطان في عُقبه. العجل المسمن يشير إلى الإفخارستيا. والاحتفال هو فرح الكنيسة لرجوع الإنسان إلي الفردوس.

٣) ما هي الأسرار المركزية للكنيسة؟

المعمودية والميرون والإفخارستيا.

٤) أين تبدو قيمة الإفخارستيا؟

هي مركز كل الأسرار, نحن نأكل جسد المسيح ونشرب دمه.

٥) ما هي الأسرار الأخرى؟

الإعتراف والكهنوت والزواج وسرّ مسحة المرضى.

٦) ما هي الكنيسة بحسب التعليم الأرثوذكسي؟

هي جسد المسيح (الذي أخذه من الكلية القداسة الدائمة البتولية مريم) وشركة القديسين.

الصلاة لمجموعة من الآباء القدّيسين

إعداد راهبات دير مار يعقوب، ددة – الكورة

إنّ الحياة الروحيّة ليست مجرّد جهاد سلبيّ ضدّ الخطيئة، وإنّما لها عنصر إيجابيّ وهو النموّ في الروح حتّى يصل الإنسان إلى الملء. فمسكين ذاك المجاهد الذي يقضي حياته في صراع مع الخطيئة. يشتهي ويقاوم شهوته، ويقع ثمّ يقوم، ثمّ يقع ليقوم إلى غير استقرار، دون أن ينظر ويذوق ما أطيب الربّ. فالذي لم تدخل محبّةُ الله إلى لبّه، لا تنتظر أن يقف على قدميه في طريق الملكوت، فهو متعثّر أبدًا، وبناؤه الروحيّ على غير أساس متين، ولا يحتمل أن يقاوم صدمات الريح وسيول الأمطار. لذلك كان لا بدّ لكلّ أحد أن ينمو في محبّة الله، وتكون هذه المحبّة الأساس الذي يرتكز عليه كلّ عمله الروحيّ. ولكنّ الإنسان لا يمكنه، مطلقًا، أن يسلك في طريق الروح من دون معونة الله ونعمته، إذ يَضْحَى كلّ عمله اتّكالًا باطلًا على قوّته البشريّة. ولمّا كانت للنعمة وسائط روحيّة عن طريقها تقدّم عطاياها لمحبّي الله، لذلك ينبغي لكلّ سائر في طريق الله أن يمارس هذه الوسائط الروحيّة كالصلاة والقراءة الروحيّة والتأمّل والصوم وغيرها.

أمّا الصلاة، فهي أوّل واسطة من وسائط النعمة التي كثيرًا ما نسمع بها ونقرأ عنها وعن ضرورتها للخلاص. فما هي الصلاة يا ترى؟ لا يوجد تعريف واحد للصلاة، فلقد عرّفها كلّ قدّيس تعريفًا خاصًّا كما اختبرها في حياته المقدّسة مع الله. فمن قائل إنّها مفتاح السماء، وشفاء السقماء، إلى قائل بأنّها مُعِينٌ جبّار وسلاح بتّار، إلى ثالث وصفها بأنّها ميناء أمين وكنز ثمين وعمل الروحانيّين.

فالقدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم يقول: «الصلاة سلاح عظيم وأساس بركات لا تحصى». ويعرّفها **القدّيس باسيليوس الكبير** بأنّها «التصاق بالله في جميع لحظات الحياة ومواقفها». أمّا **المغبوط أغسطينوس** فيعرّفها على أنّها «مصدر لكلّ الفضائل وعمل الملائكة وأساس الإيمان». وأمّا **الربّ يسوع**، فقد أعطاها كلّ القوّة والاقتدار إذ قال: «وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلاَةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ» (متّى٢١: ٢٢). فالصلاة تقتدر كثيرًا في فعلها، لذا لا نعجب إذا كان عملها أسمى من كلّ عمل آخر وأرفع كما يبرهن ذلك القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم بقوله «حينما تصلّي ألا تتحدّث مع الله؟ أيّ امتياز مثل هذا؟!».

من دون الصلاة لا تستقيم الحياة الروحيّة، لأنّ هناك علاقة وثيقة لا تنفصم بين الصلاة وحياة الروح. فأنا أستطيع أن أكون تحت قيادة الروح بصفة دائمة إذا عشت حياة الصلاة المستمرّة، لذا كانت حاجتنا إليها ضروريّة أكثر من أيّة حاجة أخرى. الصلاة هي كلّ شيء في حياة المؤمن الحقيقيّ، لأنّها شركة مع الخالق، وهي الرباط المتين الذي يربطنا به ويشدّنا إليه. فمن يجسر، إذًا، على القول إنّه ليس بحاجة إلى الصلاة؟ إنّ من يجسر على هذا القول إنّما يُظهر أنّه بغير حاجة إلى الله ذاته، وإلى عونه. فالقدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم يعلّمنا قائلًا: «إذا لاحظت إنسانًا لا يحبّ الصلاة، فاعرف، في الحال، أنّه ليس فيه شيء صالح البتّة، فالذي لا يصلّي لله هو ميت ولا حياة فيه». وليس أدلّ على لزوم الصلاة للإنسان، وحاجته الماسّة إليها، من أنّها كانت جزءًا هامًّا في حياة السيّد المسيح وهو في الجسد مع أنّه لم يكن في حاجة إلى الصلاة، إذ دُفع إليه كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض، ولكنّه ترك لنا مثالًا لكي نتبع خطواته.

إنّ احتياجاتنا الجسديّة والروحيّة توضح بأجلى بيان حاجتنا إلى الصلاة، أمّا خبرتنا الروحيّة، فتُظهر لنا بأنّه من المستحيل السير في الطريق الروحيّ من دون الصلاة، وما أكثر ما قاله **الآباء القدّيسون** في هذا الصدد. فالمغبوط أغسطينوس يقول: « ليس أحد من المدعوّين يقدر أن يفوز بخلاصه من دون معونة الله، ولا أحد يستحقّ

هذه المعونة إلّا بالصلاة». أمّا القدّيس بولس الرسول، فبعدما ذكر أنواعًا مختلفة من الأسلحة الروحيّة في رسالته إلى أهل أفسس، أضاف: «مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ» (أف ٦: ١٨)، وهكذا أوضح أنّ خُوْذَةَ الخلاص وتُرْسَ الإيمان وسيف الروح الذي هو كلمة الله لا تُغْنِي كُلُّهَا عن الصلاة. وَدَوَّنَ **القدّيس يوحنّا السلّمي**: «إنّ سرّ دوام النعمة والفضيلة هو في دوام الصلاة. فكلّ من يتوكّأ على عكّاز الصلاة لا تزلّ قدماه. وحتّى إن زلّت، فهو لن يقع تمامًا، لأنّ الصلاة سَنَدٌ للسائرين في طريق التقوى».

بالصلاة يسكن خوف الله في قلبنا. بالصلاة ننال بركات روحيّة لا تُحْصَى، فهي تؤهّلنا لحلول الروح القدس فينا. الصلاة تنجّينا يوم **الدينونة العظيم**، وتؤهّلنا لرحمة الله ومعونته ونعمته. بالصلاة نقتني النقاوة والفرح الكامل، لأنّه لا فرح يعادل فرح شركتنا مع الله أثناء الصلاة. فلنتمسّك، إذًا، بالصلاة قدر ما نستطيع، لأنّها السلاح الأقوى الذي به نحارب وننتصر. وحتّى تكون لصلاتنا هذه القوّة وهذه الفاعليّة وجب أن تكون:

١) **من قلب طاهر**، لأنّ الشهوات الكامنة في القلب تعيق الصلاة. ولا نقصد هنا بالقلب الطاهر هو ذاك الذي تطهّر من الخطيئة، فقط، بل القلب غير المنقسم على ذاته، أي الذي لا يعرج بين محبّة الله، ومحبّة العالم كما يقول المرنّم: «بكلّ قلبي طلبتك» (مزمور ١١٨: ١٠).

٢) أن تكون **بحسب مشيئة الله** أي أن نسأله ما يتّفق مع محبّته وحكمته مردّدين دومًا: لتكن لا إرادتي بل إرادتك. فلنقدّم، إذًا، ما شئنا من الطلبات مشفوعة، دومًا، بروح التسليم الكامل، وهذا ما دعانا إليه الربّ في الصلاة الربّانيّة إذ نقول: «لتكن مشيئتك». أي من الممكن أن ننال الطلبة ومن الممكن، أيضًا، ألّا ننالها البتّة، أو ننالها بعد حين. ويؤكّد هذا القول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم قائلًا: «إنّ الصلاة بركة كبيرة سواء نلنا طلباتنا أو لم ننلها، لأنّ الله فيما يعطي أو لا يعطي إنّما يفعل ذلك لخيرنا». فلا تحزن إن لم تنل، أو إن تأخّرت استجابة الطلب، فلست أنت أحكم من الله. فلربّما تكون طلبتك ليست لصالحك، أو إنّ الله يريد أن يعلّمك المثابرة في السؤال واللجاجة في الطلب.

٣) أن تكون الصلاة، أيضًا، **بإيمان كامل**، فالرسول بولس يقول: «فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ.» (عب ٤: ١٦). فالصلاة بدون إيمان باطلة ولا قوّة لها، لأنّ «الإيمان هو جناح الصلاة وبدونه تعود الصلاة إلى حضن الإنسان ثانية» على حدّ قول القدّيس يوحنّا السلّميّ. أمّا **القدّيس يوحنّا كاسيان** فيتساءل: «من هو البائس؟ هو الذي يصلّي ولا يؤمن أنّه سيحصل على جواب».

٤) أن تكون الصلاة مقرونة **بالصفح عن خطايا القريب**، فلقد قال الربّ يسوع: « وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ، فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ» (مر ١١: ٢٥). **والقدّيس نِيلُس السينائيّ** يقول: «إنّ من يصلّي وفي نفسه حقد يشبه من يصبّ ماء في دلو مثقوب».

٥) أن تكون، أيضًا، **مقترنة بالشكر**، فتزداد لك بذلك البركات والعطايا، **فالقدّيس إسحق السوريّ** يذكّرنا بأنّ «من لا يشكر على القليل هو كاذب إن قال إنّه يشكر على الكثير».

٦) يجب أن تعرف أنّ كُلَّ مِعْدَةٍ مثقلة بالأطعمة لا تدع صاحبها عقلاً متجمّعًا أثناء الصلاة، لأنّ الامتلاء يسبّب كسلًا واسترخاء.

ليست الصلاة سهلة كما تظنّ، إذ هي تحتاج إلى أعراق وأتعاب وجهاد كبير مع تغصّب وصبر جزيل. فها هوذا **القدّيس مكاريوس الكبير** يقول: «إنّ من يلازم الصلاة يحتاج إلى جهاد أكثر من سائر الأعمال، لأنّ الشرّير يناصبه العداء، محاولًا إبطال الصلاة. لذلك يلزم من يصلّي الجهاد حتّى الدَّم مقابل أولئك الذين يسعون لإبعاد النفس عن الله». بقدر ما للصلاة من بركات بقدر ما تحتاج إلى جهاد. فالقدّيس إسحق السوريّ يوضّح لنا هذا بقوله: «إنّ جهاد الصلاة مرير وشاقّ، ولكنّ المؤمن يُقبل إليه من أجل البركات المقترنة به». لذلك علينا أن نعرف كيف يجب أن نصلّي، ليكون جهادنا مثمرًا، ولتسهل علينا صلاتنا. فمثلًا الوضع الجسديّ له دخل كبير في انتباه الفكر، ويخطئ من يظنّ أنّه لا علاقة بين الصلاة والوضع الجسديّ للمصلّي. فأوضاعنا الجسديّة أثناء الصلاة تدلّ على مدى توقيرنا للربّ، وَتَذَلُّلِنَا أمامه، وخشيتنا له ما يسبّب في استجابة الصلاة، ونوال بركات ونعم روحيّة إلهيّة.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى بعض **خدع الشيطان** والجسد: فقد يحدث أحيانًا أن يشعر المرء بالضعف الجسديّ وبثقل الأعضاء كما حصل لأحد المجاهدين الذي كان يشعر بصداع عند بدء الصلاة. أمّا هو، فكان يقول لنفسه: «يا شقي لعلّك تموت في هذه الساعة، فاغتنم فرصة صلاتك قبل موتك». وهكذا كان يتمّم صلاته، وبمجرّد فراغه كانت يسكن الصداع. لهذا يجب الحذر جيّدًا في جهادنا، غاصبين أنفسنا وأجسادنا إلّا في حالات المرض الحقيقيّ والضعف الجسديّ الظاهر.

وما يساعدنا على الصلاة، أيضًا، التمهيد للصلاة والإعداد لها بفترة من الصمت والهدوء، محاولين أثناءها رفع عقولنا وقلوبنا عن كلّ ما هو دنيويّ، ناسين كلّ أشغالنا واهتماماتنا، لأنّ **القدّيس يوحنّا**

كاسيان يعلّمنا بقوله: «إنّ الأشياء التي يكون عقلنا يفكّر فيها قبيل ساعة الصلاة ستعاودنا بالضرورة أثناء الصلاة». لذلك من المهمّ جدًّا أن نُشعر أنفسنا أنّنا في حضرة الله، وأنّه يرانا ويسمعنا، وهو قريب منّا ينظر إلينا. فبمثل هذه الأحاسيس والمشاعر، هَيِّئْ ذاتك قبل الصلاة لتحسّ بالحرارة والدفء يتسرّبان إليك، إذ لا يليق أن تنتقل من الأشياء التي كنت منهمكًا فيها إلى الصلاة مباشرة، لأنّك إن فعلت هذا لن تحسّ بفاعليّة الصلاة، ويكون بالتالي فكرك مشتّتًا.

وحينما تبدأ صلاتك جاهد أن تتبع بفكرك كلّ كلمة يلفظها لسانك، **فالقدّيس يوحنا التبايسي** ينبّهنا قائلًا: «لا تظنّ، يا أخي، أنّ الصلاة هي مجرّد كلام. إن الله روح، فصلّ أمامه بالروح». أشركْ عقلك وقلبك ولسانك، لأنّ كثيرًا ما يحدث أنّ اللسان يتلو كلمات الصلاة، في حين أنّ العقل والقلب لا يشعران بما يُتلى. فلا تنشغل بأيّ أمر عن الصلاة، وأغلقْ نوافذ حواسّك حتّى لا يدخل ما يشتّتها. تغافل عن ضروريّات الجسد عند وقوفك للصلاة «حتّى ولو لدغك برغوث أو بعوضة أو ذبابة، فلا تنشغل بها لئلا تخسر الربح العظيم الذي للصلاة» كما قال أحد آباء البَرِّيَّة. ويُحكى عن أخ أنّه كان يمشي، ذات يوم، في البرّيّة مصلّيًا، فظهر له ملاكان وسارا معه عن يمينه ويساره. أمّا هو، فلم يحوّل انتباهه إليهما حتّى لا يخسر ثمرة الصلاة، متذكّرًا قول الرسول بولس: «فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتٍ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، ٣٩وَلاَ عُلُوَّ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةً أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.» (رو ٨: ٣٨-٣٩).

فلنتمسّك، إذًا، بالصلاة قدر ما نستطيع، ولا نتعلّل، قطّ، بقولنا إنّنا لا نعرف كيف نصلّي، أو إنّه لا قوت لدينا، فأشغالنا ومسؤوليّاتنا كثيرة. أمّا عدم المعرفة، فالروح القدس كفيل بأن يعلّمنا كيف نصلّي إنّما المهمّ أن نبدأ نحن، وأن نُبْدِيَ استعدادنا. وأمّا عدم توفّر الوقت، فالمسألة تحتاج، في الواقع، إلى تنظيم وقت، لكي نوفّق بين واجباتنا نحو الله وواجباتنا الأخرى، وذلك يحتاج إلى إلغاء الوقت الضائع في المحادثات الباطلة، مثلًا، والزيارات غير المُجْدِيَة. إذن، الأمر يرجع في الحقيقة إلى إهمالنا وتهاوننا، أو إلى استثقالنا للصلاة، أو لشعورنا بأنّ الصلاة هي للرهبان وحسب. إنّ هذا التفكير خاطئ، فالملك داود كان مَلِكًا وقائدًا للجيش وقاضيًا للشعب وله أسرة كبيرة، وعلى الرغم من هذا كان يقول: «سبقت عيناي وقت السحر لأتلو جميع أقوالك» (مز ١١٨: ١٤٨). وكذلك: «سبع مرّات في النهار سبّحتك» (مز ١١٨: ١٦٤). إذن من يشتعل قلبه بمحبّة الله لا شكّ أنّه سيجد وقتًا للربّ، وسيعرف كيف ينظّم أوقاته، ويلغي ما يمكن إلغاؤه.

وتبقى صلاة يسوع الصلاة السهلة الاستعمال في كلّ مكان وزمان، لأنّ **القدّيس كلمينضس الإسكندريّ** يعرّف المسيحيّ الحقيقي بأنّه الشخص «الذي يصلّي في كلّ مكان، ماشيًا، متحدّثًا، قارئًا، منفردًا، أو مع الناس». إنّ صلاة يسوع لا تحتاج إلى تنظيم وقت إن لم تملكه، لأنّك تستطيع ترديدها كلّ وقت، فهي لا تحتاج إلى مجهود بل إلى حبّ وعزم. إنّها صلاة قصيرة، ولكنّها تحفظ للقلب حرارته المقدّسة. ردّدها في أي وقت كنت فيه، أو في أيّ ضيق تمرّ به، أو شدّة تجتازها، لأنّها كفيلة بزحزحة حجر الحزن عن قلبك. فاسم الربّ ذو اقتدار وقوّة عظيمين. ردّدها حينما تأوي إلى فراشك، وحينما تستيقظ، أو عندما تأكل. اجعلها باكورة تفكيرك، واجعلها تتبعك طيلة يومك، ولا تحتجّ بعدم توفّر الوقت. ردّد ولا تملّ: «يا ربّي يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطئ». وهكذا، شيئًا فشيئًا، يستنير فكرك، ويشتعل قلبك بحرارة محبّة الله، وتستطيع حينئذ أن تهتف مع المرنّم: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الربّ» (مز ٣٤: ٨).

المحبَّة

تجاسرت لأتكلم عن (الحب الإلهي) فإذا بي أتكلم عن الله لأن الله محبة «١يو٤: ٨». هكذا وجدت نفسي أتجاسر لأكتب عن أمور لا يسوغ لضعفي أن ينطق بها ولا يقدر لسان أن يُعَبِّر عنها، لأنه من يقدر أن يفحص أعماق الله إلّا بروح الله ؟! «١كو٢: ١٠-١١ »

ليعطنا روح الله أن نتلامس معه في أعماق قلوبنا الخَفِيَّة ويفتح عيوننا الداخلية حتى نقدر أن ندرك أبعاد الحب الإلهي غير المحدود. تلك الأبعاد التي لا تُعَبِّر عنها كلمات أو حروف ولا تسجلها مقاييس، بل حتى حركات القلب ذاته تغرق في لجته وتسكر منه، وتترنح ولا تدري حتى بنفسها، وكما يقول الرسول بولس «وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلُوُّ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ.» (اف ٣: ١٨-١٩).

✝ من شاء أن يتكلم عن محبة الله فهو يبرهن على جهلة لأن الحديث عن هذه المحبة الإلهية غير ممكن البتة.

✝ عجيبة هي أيضًا!! هي لغة الملائكة ويصعب على اللفظ ترجمتها. المحبة اسم الله الكريم من يستطيع أن يفحصها أو يحدّها ؟!!

من أقوال الشيخ الروحاني، يوحنّا سابا

القديس يوحنا الذهبي الفم «نبي الإنسانية»

للأب جورج فلوروفسكي[1]

كان **الذهبي الفم** واعظًا قويًا، أحب الوعظ حبًا فائقًا واعتبره واجب كل إكليريكي مسيحي. الكهنوت هو سُلطة، ولكن سلطة كلمة وإقناع، وهذه هي الصفة المميزة للمبدأ المسيحي (عمومًا). الملوك يستخدمون القهر والجبر، أما الإكليريكيون يُقنعون. الملوك يعملون بإصدار أوامر لكن الإكليريكيين بالنُصح والإرشاد. الإكليريكيون موّجهون نحو الحرية الإنسانية، نحو الإرادة الإنسانية ويطلبون مواقف (قرارات). مثلما تعوّد الذهبي الفم نفسه أن يقول: «نحن مُجْبَرُونَ أن ننجح في خلاص الناس بالكلمة، بالوداعة وبالنُصح». عند الذهبي الفم، كل قيمة الحياة الإنسانية عندما تكون – كما كانت من قبل – حياة في حُرِّيَةٍ، وعندئذٍ في رأيه تكون حياة مفيدة (لها قيمة).

تكلم الذهبي الفم في عظاته باستمرار عن الحرية والموقف (القرار)، الحرية – بحسب رأيه – كانت صورة الله في الإنسان. لقد أتى المسيح، كما تعوّد أن يذكر، لكي يشفي إرادة الإنسان. الله دائمًا يعمل بطريقة مثل هذه، حتى لا يُدمر حريتنا. الله نفسه يعمل بواسطة الدعوة والنصيحة وليس بالإجبار والضغط، إذ يُظهر الطريق المستقيم، ويدعو ويُخبر عن أخطاء الشرّ ولكن لا يُجبر أحدًا، بمثل هذه الطريقة يجب أن يعمل الإكليروس المسيحي.

كان الذهبي الفم ، من طبيعة تكوينه، يسلك طريق الحلول المباشرة والثورية، أي حادًّا وصارمًا، لكن كان دائمًا ضد الاجبار حتى في الصراع مع الهراطقة. كان يُكَرِّر دائمًا قائلًا: «غير مسموح للمسيحيين أن يستخدموا القهر حتى لأهداف صالحة، حربنا لا تجعل الأحياء أمواتًا لكن تجعل الأموات أحياء، لأنها تمارس بروح الوداعة وبساطة التواضع، أُدين بالكلام وليس بالأعمال، أدين الهرطقة وليس الهراطقة، إنه مبدأ خاص بي أن أُدان عن أن أُدين، هكذا كان المسيح منتصرًا كمصلوب وليس كصالب».

إن قُوَّةَ المسيحي تُوجد في التواضع والتسامح وليس في استخدام القُوَّة، يجب على كل واحد أن يكون صارمًا مع نفسه ورحومًا نحو الآخرين.

ورغم كل هذا، لم يكن الذهبي الفم أبدًا عاطفيًا متفائلًا إذ كانت **خلاصته للحالة الإنسانية سوداء ومحزنة**. عاش في زمن كانت فيه الكنيسة مكتظة بجموع المسيحيين ولكن بالاسم فقط، لقد تولّد عنده انطباع أنه يعظ الأموات. لقد شاهد غياب المحبة الإنسانية والظلم المستمر، ورأى كل ذلك تقريبًا داخل إعلان تصاعدي: «**أطفاؤنا الغيرة (الحسنة) وجسد المسيح ميت**». لقد تولّد له انطباع أنه يتكلم لأناس كانت لهم المسيحية **موضة، فراغًا، ضريبة مفروضة ليس أكثر**: «**ما بين الآلاف، يستطيع أحد بصعوبة أن يجد أكثر من مائة مخلصين، وحتى بهذا أشك**» كان يشعر بالضيق والحزن على العدد الهائل من المسيحيين بالاسم والذين يعتبرهم «**وقودًا للنار**».

الرفاهية . في رأي الذهبي الفم ، هي خطر عظيم، إنها أسوأ نوع من الاضطهاد، أسوأ من الاضطهاد الفعلي. لا أحد يرى الأخطار . يقول الذهبي الفم : **الرفاهية تتغذى على اللامبالاة. الناس يقعون في سُبات عميق والشيطان يقتل النائمين**. لقد كان الذهبي الفم **قَلِقًا خاصةً على المعايير المتدنية للقِيَم والمظاهر والعشوائية والتي كانت أيضًا بين الأكليروس. المِلْحُ فقدَ قوته المُمَلِّحَة**. لقد واجه الذهبي الفم كل هذا ليس فقط بكلمات استنكارية وعراكية ولكن بأعمال إنسانية وبالمحبة، لقد جاهد لتجديد الشركة ولشفاء المجتمع الشرير. وعظ ومارس المحبة مؤسسًا مستشفيات وملاجيء، مساعدًا الفقراء والمحرومين، أراد من الناس أن يمارسوا الحُب، أراد بالأكثر أن يرى العمل والاخلاص بين المسيحيين. المسيحي، عند الذهبي الفم كان بالضبط «الطريق»، مثلما أُطلق هذا المصطلح على المسيحي في زمن الرسل، والمسيح نفسه كان «الطريق». لقد كان الذهبي الفم ضد المتساهلين، ضد سياسة تبادل المصلحة وتكييف الأمور، لقد كان **نبي المسيحية الكاملة**.

كان الذهبي الفم واعظًا خاصةً في الأخلاق (السلوك)، لكن أخلاقه (أي تعليمه الخلقي) كانت مُتَجَذِّرَة بعمق في الإيمان.

اعتاد أن يُفسر الكتاب لرعيته، والكاتب المحبب له هو **بولس الرسول**. ويستطيع أي أحد بسهولة أن يرى في رسائله العلاقة الفعالة بين الإيمان والحياة. لقد كان للذهبي الفم موضوع عقيدي محبوب، يُكَرِّرُهُ كثيرًا، إنه موضوع الكنيسة والتي يربطها بشدة بعقيدة

الفداء أي ذبيحة المسيح رئيس الكهنة، الكنيسة هي الوجود الجديد، الحياة في المسيح والحياة في بشرية المسيح.

✞ ✞ ✞ ✞ ✞

القديس بروكُلس يشقّ الستار ليعاين بجلاء برؤيا الهيّة أنّ القديس بولس الرسول يلهم القديس يوحنا الذهبي الفم تفسير رسائله وفحواها العميق

الموضوع الثاني هو موضوع **الافخارستيا الإلهية**، إنه سرّ وأيضًا ذبيحة. إنه من العدل أن نُسمي الذهبي الفم، مثلما يُدعى حقيقًا، «مُعلم الإفخارستيا الإلهية» Doctor eucharisticus. وهذان الموضوعان مرتبطان ببعضهما، لأن الكنيسة حية في الافخارستيا وبواسطة الافخارستيا.

كان الذهبي الفم شاهدًا للإيمان الحيّ، ولهذا السبب، سُمع صدى صوته في الشرق والغرب. الإيمان عنده حياة وليس نظريات، العقائد لابد أن تصير أعمالًا. لقد وعظ الذهبي الفم بإنجيل الخلاص، بإنجيل الحياة الجديدة، لم يكن واعظًا لأخلاق ذاتية بل بَشَّرَ بالمسيح، بالمصلوب والقائم، بالحمل ورئيس الكهنة. الحياة المستقيمة عنده كانت البرهان الكافي للإيمان المستقيم: الإيمان يكُمل في الأعمال الانسانية والمحبة. بدون المحبة والإيمان والرؤية السرّيّة والأسرار الإلهية كل شيء مستحيل. تابع الذهبي الفم صراع اليأس لأجل الحقيقة داخل مجتمع عصره، لقد انشغل دائمًا لأجل النفوس الحية، كان دائم التوجّه للرعية، لأنه كان يشعر نحوهم بالمسؤولية لقد ناقش دون ملل ظروف وحالات محدَّدة، وكان موضوع الغِنَى والفقر هو أحد مواضيعه المحببة والمعتادة. هذا الموضوع أملاه المحيط الذي كان يعيش بداخله فكان يجب أن يواجّه الحياة التي تشكلت داخل المدن العظيمة والمكتظة بالناس، بكل ما فيها من تناقضات وتناحُر بين الأغنياء والفقراء. ببساطة لم يستطع أن يتجنب المشاكل الاجتماعية بدون أن يُبعد المسيحي داخل العالم من ناحية واجباته ووظائفه عن الحياة. إذن المشاكل الاجتماعية، عند الذهبي الفم ، هي **مشاكل دينية وأخلاقية**.

لم يكن الذهبي الفم مجرد مُبدِع اجتماعي، مع أنه كان يملك خُطَطًا ورُؤَى للمجتمع في ذلك الوقت، لكنه انشغل واهتم بسلوك المسيحيين

إننا نجد في عظاته، أول كل شيء، تحليلًا بحثيًا عن حالة المجتمع، لقد وجد فيه **ظلمًا كثيرًا جدًا، برودة، لامبالاة، ألمًا وحزنًا**. لقد اكتشف أن هذه الحالة ترجع إلى شراهة هذا المجتمع إلى روح الطمع الذي يُغذي **عدم المساواة والظلم**. لم ينزعج الذهبي الفم فقط بمفاخر الحياة الباطلة بل اعتبر الغنى التجربة الدائمة. الغِنى يفسد الغَيّ، إنه قناع يخفي تحته حقيقة شخصية الإنسان، إن هؤلاء الذين عندهم الغِنى يصلون لمرحلة فيها يحبونه منخدعين، ويهابونه معتمدين عليه. كل أنواع الغِنى هو خطر طالما يعتمد ويرتكز عليه الإنسان، مع أنه شيء مؤقت وغير دائم.

كان الذهبي الفم إنجيليًا في هذا الموضوع (أي كان يعتمد على فكر الإنجيل في مواجهة موضوع الغِنى والفقر)، يقول: « يجب أن نكنز كنوزًا في السماء، وليس على الأرض لأن كل الكنوز الأرضية هي أوهام ومحكوم عليها بالفناء».

أيضًا يقول الذهبي الفم: أن «محبة الغِنى هي محبة غير طبيعية»، هي ببساطة ثِقَلٌ على النفس وثِقَلٌ خطير، فالغِنى يستعبد النفس، يقطعها من خدمة الله. الروح المسيحية هي روح الرفض، والغِنى يكبل الإنسان بأشياء جامدة (أي لا نفس لها). إن روح الشراهة والطمع تُغير الرؤية وتُشوّه التطلعات.

أن الذهبي الفم اتَّبع عن إيمان راسخ وصايا العِظَةِ على الجبل «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟...» (متى٦: ٢٥...) النفس هي أهم من اللباس أو الطعام، لكن الصراع هو سيطرة نظام المجتمع الشَّرِه والنَّهِم.

أن دعوة المسيحيين هي رفض كل أشكال الغِنى والثقة الكاملة والإيمان بتبعية المسيح، الغِنى له ما يبرِّره فقط في استخدامه: إطعموا الجياع، ساعدوا الفقراء وأعطوا دائمًا المحرومين. هنا يكون التوتر الأساسي، والتصادم الجوهري بين روح الكنيسة والمجتمع المادي. إن الظُلم المُرّ والقاسي الذي نجده في الحياة اليومية هو الجرح النازف لهذا المجتمع. إن كل أشكال الغِنى هو ظُلم خاصةً في عالم مثل هذا **مليء بالحزن والحرمان، إنه ببساطة دلائل على انتشار اللامبالاة والبرودة (في علاقة الناس ببعض) وقلة الإيمان.**

لقد تَعَمَّقَ الذهبي الفم في هذا الموضوع لدرجة أنه انتقد مفاخر الكنائس فيقول عن الكنيسة: إنها «مكان نصرة الملائكة وليس محل صاغة. الكنيسة تطلب نفوس البشر وفقط لأجل النفوس يقبل الله كل تقدمة أخرى. الكأس الذي قدمها المسيح للتلاميذ في العشاء السرّي لم تكن من الذهب ولكنها كانت لها قيمة من أي شيء آخر. عندما تريد أن تُكرّم المسيح نعم أفعل ذلك عندما تراه عريانًا في شخص الفقراء. ليست لها أي قيمة لو قدمت حريرًا ومصنوعاتٍ ثمينة للكنيسة، وتركت خارجًا المسيح يُعاني من البرد والعُرْي. أين الفائدة؟! لو أن الكنيسة مليئة بالأواني الذهبية لكن المسيح نفسه يموت جوعًا. إنكم تصنعون من الذهب صواني للكأس، لكن لا تقدمون كأس ماء بارد للفقراء. المسيح كغريب بلا مأوى يجول خارجًا متسولًا وبدلًا من أن تقبلوه تصنعون نقوشًا».

كان خوف الذهبي الفم هو أنَّ أي شيء زائد على الحاجة ويُدَّخَر، هو مسروق بطريقة ما من الفقراء. وفي رأيه لا يستطيع أحدٌ أن يغتني إلَّا باحتفاظه بفقراء آخرين (غالبًا يقصد بالاحتفاظ بالفقراء ليستخدمهم في إدارة مشاريعه). إن أصل الغِنَى مؤسس دائمًا على ظُلم معين. وبالرغم من ذلك، الفقر في حد ذاته، عند الذهبي الفم، ليس هو فضيلة. الفقر يعني، عنده، قبل كل شيء الحرمان، والاحتياج والحزن والألم. ولأجل هذا السبب يُوجد المسيح بين الفقراء ويأتي إلينا متخفيًا كمتسول وليس كإنسان غني. إن الفقر هو بركة، ولكن فقط عندما يصير مقبولًا وذلك لأجل المسيح. إن جهاد الفقراء هو أقل من الأغنياء وهم أيضًا أكثر استقلالًا. أو على الأقل يمكنهم أن يكونوا كذلك.

لكن الذهبي الفم يعرف جيدًا أن الفقر يُمثل أيضًا تجربة، ليس فقط لأنه ثِقَلٌ، ولكن لأنه يُشجع على (جَلْبِ) الحزن واليأس.

لقد أراد أن يحارب الفقر لأجل هذا السبب بالضبط، ليس فقط لكي يخفف الألم ولكن لكي يُبعد التجارب.

لقد انشغل الذهبي الفم دائمًا بالمواضيع الأخلاقية، وله آراء خاصة عن المجتمع العادل، وأول شيء يعتبره ضروريًا في المجتمع هو المساواة، فهي تمثل القيمة الأولى للمحبة الأصيلة. وتبحَّر الذهبي الفم أكثر في هذا الموضوع مؤمنًا أنه يوجد واحد فقط في العالم يملك كل الأشياء، هو نفسه الله خالق كل الأشياء. وبناء على ذلك ، من الأصل، أي ثروة فرديّة هي غير موجودة. الكُل يُنسب، إلى الله. أي شيء (نملكه) هو ليس مُعطى من الله بل مقترض من الله للإنسان ولأهداف إلهية.

لقد أراد الذهبي الفم أن يقول: كل الأشياء هي مِلك الله ما عدا الأعمال الصالحة للإنسان، هذه الأعمال هي فقط التي يستطيع الإنسان أن يمتلكها، إن كل الأشياء مُعطاة للاستخدام المشترك طالما إنها تنتمي إلى الله، ربنا كُلنا.

ألا يَصْدُقُ هذا على الأشياء العالمية؟ المُدن، الأسواق والطرق أليست مشتركة للكل؟ إن تدين الله هو بنفس النوع، الماء، الهواء، الشمس والقمر وبقية الخليقة هي للاستخدام المشترك.

تبدأ المنازعات عادةً عندما يحاول البشر أن يدّعوا ملكية هذه الأشياء، والتي هي بطبيعتها لم تُعطَ للاستخدام الخاص لبعض الناس دون الآخرين.

إن الذهبي الفم كانت لديه شكوك ناحية الملكية الفردية. ألم تبدأ المعركة (الصراع) من اللحظة التي ظهر فيها التميز البارد بين «**ما هو لي**» و «**ما هو لك**»؟ لم ينشغل الذهبي الفم كثيرًا بالنتائج ولا للأسباب التي توجّه الإرادة.

أين يذهب الإنسان حتى يُجمع كنوزه هذه؟ لقد طلب الذهبي الفم العدل لكي يحمي القيمة الحقيقية للإنسانية. ألم يُخْلَقَ الإنسان على صورة الله؟ ألم يُرِدِ الله خلاص ورجوع الإنسان بغض النظر عن موقعه في الحياة ومدى سلوكه في الماضي؟

الجميع مدعوّون للتوبة والتوبة هي في ٱستطاعة الكُل. لا يُوجد أي احتقار للأشياء المادية في عظات الذهبي الفم. الخيرات المادية آتيه أيضًا من الله، وهي ليست شريرة في حَدِّ ذاتها. الاستخدام الظالم للخيرات، نحو فائدة البعض ذاك هو الشرّ إذ يُترك الآخرين في جوعهم. الاجابة تُوجد في **المحبة**. المحبة ليست أنانية «الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا» (١كو١٣: ٤-٧). لقد كانت أمام عينيه الكنيسة الأولى «شاهدوا نموّ التقوى. لقد تركوا غناهم بكل سرور لأنهم أخذوا غِنى أعظم بدون تعب. لا نجد أحدًا بينهم قد عُيّر ولا أحدًا حاملًا (كسولًا) أيضًا ولا أحدًا بينهم حفظ الإساءة. لم يوجد بينهم افتخار ولا احتقار. لم يحدث سلام عن «ما هو لي» و «ما هو لك» الفرح كان يغمر موائدهم، ولا ظهر أحد على أنه يأكل من ما له أو ما هو للآخر إذ لم يعتبروا ثروات إخوتهم غريبة عليهم. كانت ثروات الرب، إذ لا شيء كان ملكهم بحسب اعتقادهم، الكل كان للإخوة، يتساءل الذهبي الفم: كيف كان ذلك ممكنًا؟! بإلهام المحبة، بمعرفة محبة الله غير المحدودة.»

لم يعظ الذهبي الفم . تحت أي معنى . «**بالشيوعية**». وَصْفِهِ العام في حَدِّ ذاته ممكن يخدع وَيُضَلِّل أي أحد بسهولة، لأن الأساس عنده هو **الروح**. كان الرهبان في عصره قد طَبَّقُوا بحماس، وبطريقة عملية أن **الله هو السيد والمالك لكل الأشياء**. والذهبي الفم، إذ كان يعظ في المدن اعتبر الحياة الرهبانية ليست طريقًا أسمى قد أُعدّ للمختارين ولكن قانون إنجيلي (مِثال) للحياة وهي متاحة بل أعطيت لكل المسيحيين. بهذا المفهوم قد اتفق مع التقليد الأساسي للكنيسة الأولى من **باسيليوس وأغسطينوس حتى ثيودوروس ستوديتوس** Θεοδῶρος Στουδίτος فيما بعد. إن قوة الرهبنة لم تُوجد في الشكل الأوَلِيّ لها، ولكن في روح التكريس في اختيار «**الدعوة العُليا**». أكانت هذه الدعوة فقط لقلة؟ يتساءل الذهبي الفم. لقد كان شاهد عيان لعدم المساواة. يستاءل أيضًا أليس خطر أن نميز بين «**الأقوياء**» و «الضعفاء»؟ من الذي سوف يدين؟ لقد وضع الذهبي الفم في ذهنه الناس العمليين. كان يُوجد نُدرة فردية في طريقة تعامل الناس مع بعضهم، لكن الذهبي الفم **كرّم كثيرًا روح الوفاق والجماعة، روح التكافل، الاهتمام المشترك والمسئولية المشتركة، روح الخدمة**. لا يستطيع أحد أن ينمو في الفضيلة إلَّا إذا خدم إخوته، لذلك كان دائمًا يشدِّد على قيمة (أهمية) **المحبة الإنسانية**. هؤلاء الذين لم يمارسوا المحبة الإنسانية يُتركون خارج عُرس المسيح. لا يكفي أن ترفعوا الأيادي نحو السماء مُدُّوها نحو المحرومين عندئذٍ تُستجاب من الآب. السؤال الوحيد الذي سوف يُسأل في الدينونة الأخيرة هو عن المحبة الإنسانية وذلك بحسب مَثَل **الدينونة الأخيرة** الوارد في الإنجيل. لم يكن الذهبي الفم مجرد داعيًا للأخلاق، فالأخلاق لديه لها عمق واضح. المذبح الحقيقي هو نفسه جسده البشري، فلا يكفي أن نعبد الله في المذابح (الكنائس) لأنه يوجد مذبح آخر من الأنفس الحية، وهذا المذبح هو نفسه المسيح أي جسده. أن ذبيحة البِرِّ والرحمة هي التي يجب أن تُقَدَّم على هذا

المذبح، وذلك لو أردنا أن تُقْبَل تقدماتنا في أعين الرب. إن الإخلاص والتكريس المطلق للمسيح، الذي أتى إلى العالم لِيَسُدَّ كُلَ احتياج ويلطف كل حزن وألم، يجب أن يُلهم أعمال المحبة الإنسانية.

كان الذهبي الفم لا يعتقد في الأشكال المجردة، وإذا كان يملك إيمانًا ملتهبًا، في القوة الخلّاقة للمحبة المسيحية. ولهذا السبب صار مُعلمًا ونبيًا لكل العصور في الكنيسة. لقد عاش في شبابه عدة سنوات في الصحراء ولكنه لم يرد أن يظل هناك، لذلك انعزاله الرُهباني كان مجرد فترة إعداد وتجهيز. لقد عاد إلى العالم لكي يعظ عن قوة الإنجيل، كان مدعوًا من الله مُبَشِّرًا، له غيرةٌ إنجيلية ورسولية. أراد أن يتقاسم مع إخوته هذا الإلهام (الغيرة) ويعمل لثبات ملكوت الله. لقد صلّى أن تتحقق كل هذه الأمور في الحياة العامة حتى لا يحتاج أحد أن ينسحب إلى الصحراء مفتشًا عن الكمال لأن الفرصة موجودة داخل المدن. أراد أن تتغير «تتجلى» المدينة نفسها ولأجل هذا الهدف اختار لنفسه طريق الكهنوت والرتبة الرسولية.

أكان هذا حُلمًا سهل المنال؟ أكان من الممكن إعادة تغيير العالم وطرح كل ما هو مادي فيه؟ هل نجح الذهبي الفم في رسالته؟

لقد كانت حياته عاصفة وصارمة، كانت حياة المثابرة والشهادة. لقد طُرد وأُستُنكر ليس من الوثنيين ولكن من إخوته المزيّفين، ومات بعيدًا عن الوطن كأسير في المنفى. لكن قَبِلَ كل ما حدث له بروح الفرح، وكأنها أتت من يد المسيح فالمسيح نفسه قد حُكم عليه بالموت.

الكنيسة حفظت له الجميل واعترفت بذاك الشهيد وأعلنت في احتفال بأن الذهبي الفم كان مُعلمًا من «المعلمين المسكونيين» لكل الأجيال القادمة. يُوجد مذاق خاص (غير معتاد) في نصوص الذهبي الفم، لقد كان العالم الذي يعيش فيه هو أيضًا عالمنا، عالم متوتر، عالم حاشد بالمشاكل في كل قطاعات الحياة. إن نصائحه من الممكن أن تجد لها صدى، ليس قليلًا، في عصرنا وأهم ما قدّمه هو تلك الدعوة نحو تحقيق المسيحية الكاملة والتي فيها الإيمان والمحبة الإنسانية، الإيمان والتطبيق العملي مرتبطان كيانيًا مع لجوء مطلق إلى **محبة الله العجيبة، إلى الثقة المطلقة في رحمته، إلى إخلاص مطلق في خدمته بواسطة يسوع المسيح إلهنا.**

جمجمة القديس يوحنا الذهبي الفم ويده اليمنى محفوظة في دير الفاتوبيذي Βατοπαίδι في الجبل المقدس آثوس في اليونان، ككنزٍ مفيضٍ نعمًا وبركات. في جمجمة القديس، لا تزال أذنه باقية غير منحلّة رغم مرور القرون الستة عشر على رقاده.

والكنيسة تسمح لشعبها طلب الشفاعة من القديس المتوفى بفتح باب صغير من الصندوق يطل من خلاله أذن القديس ليسمع من الشعب المسيحي طلباتهم ليحققها لهم رغم أنه مات وأصبح رمة ... ولا عزاء للعقلاء

يَا طَالِبَ ٱلْعِلْمِ بَادِرِ ٱلْوَرَعَا وَهَاجِرِ ٱلنَّوْمَ وَٱهْجُرِ ٱلشَّبَعَا
يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنْتُمُ عُشْبٌ يَحْصُدُهُ ٱلْمَوْتُ كُلَّمَا طَلَعَا
لَا يَحْصُدُ ٱلْمَرْءُ عِنْدَ فَاقَتِهِ إِلَّا ٱلَّذِي فِي حَيَاتِهِ زَرَعَا

«غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ». (لو ١٨: ٢٧)

الأولاد والطاعة

الشيخ تداوس سترابولوفيتش
رئيس دير فيتوفنيكا، صربيا

نقلها إلى العربية ريتشارد صبوح

الطاعة تبني والإرادة الذاتيّة تهدم. يجب على الولد أن يتعلّم أن يكون مُطيعًا لأهله ولله. سيذكر كلام أهله كلّ حياته وسيحترم دائمًا أجداده، وليس هؤلاء فقط بل الناس الأصغر سنًّا أيضًا. سيكون مُهذّبًا وحريصًا مع الجميع. للأسف، عائلات قليلة ينشئون أولادهم بهذه الطريقة.

الشرّير يسبّب الارتباك في عقول أولادنا ويحاول إحزانهم. يجبّ أن يتعلّم الأولاد الطاعة، خاصّةً قبل عمر الخمس سنوات، لأنّه في هذا العمر تتكوّن شخصيّاتهم. فأثر الطريقة التي تكوّنت فيها شخصيّاتهم يبقى معهم بقيّة حياتهم. يجب أن يُعلِّم الأهل أولادهم الطاعة الكاملة في هذه المرحلة من حياتهم. إذا قال أحد الأهل شيئًا، يجب أن يكون الجواب: «مهما تقول». اليوم للأسف الأهل لا يعلّمون هذا لا بل يعلّمون أولادهم العكس تمامًا.

إذا قال الأهل «إبقَ هنا» فالولد يجب أن يبقى حيث قيل له. لكنّه وَلَدٌ في النهاية، ولا يستطيع البقاء في مكان واحد. ما يحصل عادةً أنّ الأهل يضربون الولد لعصيانه. هذه ليست طريقة حسنة لتعليم الولد الطاعة. قد تكون أحيانًا ردّة فعل ضروريّة، لكن يجب أن تكون بمحبّة ويجب أن يشعر الولد بهذه المحبّة. لا ينبغي أبدًا أن يَضرب الأهل أولادهم بغضب. لأنّه إذا بدأت بمعاقبة أحدٍ وأنت غاضب، لن تصل إلى أيّ مكان. ستؤذي الشخص الذي أمامك، ونفسك أيضًا. إذا أردتَ أن تضع أحدًا على السكّة الصحيحة، يجبّ أن تعلّمه وتنصحه. يجب أوّلًا أن تتّضع وتكلّمه بمحبّة كبيرة. سيقبل إرشادك إذا أُعطِيَ بمحبّة. لكن إذا شئتَ أن تفرض إرادتك الذاتيّة بأيّ ثمن، لن تحقّق شيئًا أبدًا. هذا ما يسبّب ردّة فعل سيّئة عند الأولاد. إذا كان الولد غير مطيعٍ، فالحلّ ليس في ضربه.

الأهل يقسون على أولادهم لأصغر الأمور، وكأنهم لا يعرفون أنّ التكلّم بهدوء ولطف ممكن. عندما يجب أن يضع الأهل حدودًا لولد، يجب أن يشعر الولد بوجود محبّة وراء الصرامة. إنّه خطأٌ كبير أن نعاقب الأولاد في اللحظة التي يخطئون فيها، إذ لن تكون ردّة فعلهم جيّدة. يجب أن ننتظر أن يهدأوا، ومن ثمّ بكثير من المحبّة، نقول للولد أنّه أخطأ ويجب أن يقبل شكلًا من العقاب. إذا تكرّر الأمر نفسه، يُعطى الولد عقابًا أقسى، وبهذه الطريقة، يتعلّم.

إنّ مشيئة الله تعمل فينا عبر أهلنا أو من خلال معلّمينا ومديرينا. إذا كنّا بحاجة أن نصلح تصرّف ولدٍ، فيجب أن نصنع هذا بكثير من المحبّة والانتباه. إذا كان الأمر الوحيد في بالنا أن نغيّر حياة الولد، فقد أعطيناه صفعةً بأفكارنا. لاحظتُ هذا **كرئيس دير**: لقد رأيتُ مرارًا أحدًا من الإخوة لا يتصرّف بشكل صحيح، لكن في اللحظة التي أكون فيها على وشك أن أعطيه الملاحظة، أشعر أنّني قد أعطيته صفعةً.

تستطيع أفكارنا أن تكون اقتحاميّة وذات قوّة كبيرة. هذا يصحّ بشكلٍ خاصّ عن أفكار الأهل. يحتاج الأهل أن يكونوا بنّائين مع الكثيرين ومُتسامحين عن كلّ شيء. نستطيع أن نسامح الآخرين فقط إذا كانت أفكارنا حسنة وجيّدة. إذا كنّا نمتلك أفكارًا موجّهة نحو إصلاح أخطاء الآخرين، فنكون كمَن يضربهم. بغضّ النظر كم يكون الشخص قريبًا منّا، سيبتعد، لأنّنا قد صفعناه بأفكارنا. ونعتقد أنّ أفكارنا هي لا شيء!

نعاقب أولادنا، لكن بالحقيقة لا حقّ لنا في فعل ذلك، لأنّنا فشلنا في تعليمهم الطريق الصحيح. مرّةً كتبت لي طبيبة: «**أنجبتُ ابنًا من زوجي، الذي هو طبيب أيضًا. ابننا حطّم ثلاث سيّارات – الحمد لله أنّه ما زال حيًّا. الآن يريدنا أن نشتري له سيّارة أخرى، لكنّنا لم نعد نقدر أن نشتري. عندما نعود إلى البيت من أشغالنا، يحاول أن يحصل على المال منّا، حتّى بالقوّة. ماذا أستطيع أن أفعل لمعالجة هذه المشكلة؟**» قلتُ لها أن الوحيدَيْن الذَين يُلامان هما انفسهما. كان لهما ابنٌ وسمحا له أن يفعل ما يشاء، حتّى منذ كان صغيرًا جدًّا. عندما كان صغيرًا، طلباته كانت أقلّ كلفة، أمّا الآن فقد كبرَ وأصبحت طلباته أكبر. الشيء الوحيد الذي يستطيعان الآن فعله هو إعطاء ابنهما الكثير من المحبّة والإهتمام، لربّما يعود إلى رُشده ويُدرك أنّ الشيء الذي اهتمّ به أهله هو مصلحته. ليس من طريقةٍ أخرى غير المحبّة. هل ترون من هذا المثل كيف نحسّن حياتنا وحياة الذين حولنا، من خلال أفكارنا؟ نرجو أنّ جهودنا في هذا الاتجاه ستأتي بثمارها.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

✝ الفصل الثامن ✝.

وبفضل المجموعة التي كتبها نكتاريوس في شبابه، وتسنَّى له نشرها بعنوان: «**كنز الحكماء والقديسين**»، كان يمتلك مواضيع لا تنضب لموعظاته: «في العفة والحكمة بحسب الله» ، «في الظلم والظالمين»، «في رفض الحقيقة الرسولية»، « في الحياة الخالدة»، «في التعاضد» ، «في الرغبة الحمقاء»، .... الخ. وهكذا كانت تمرّ الأيام والأسابيع والأشهر والفصول. فحلَّ عيد الميلاد، وبعده الصوم الكبير، ثم عيد البشارة، وبعده الفصح المجيد ...

وكان كهنة الجوار يعتبرونه واحدًا منهم، ومجرّد واعظ. ولم يعودوا يُقيمون اعتبارًا خاصًا لرتبته الأسقفية، بسبب ابتسامته المتواضعة ولطفه. ولم يكن هذا يضايقه، بل على العكس، فقد كان يتفادى التكريم والمعاملة المميّزة. في قداديس الآحاد، كان يأخذ مكانًا في زاوية صغيرة على يمين الهيكل. وكان يَصِلُ باكِرًا لينعم بالصلاة السحرية. لم يكن يهتم بالمال ولا يفتّش عن «**العلاوات**» التي يمكن أن يحصل عليها من خِدَم الأعياد.

فبدأ يحب تلك الجزيرة الواسعة، بغاباتها الظليلة وتلالها ووديانها وشطآنها المتعرّجة؛ فكانت نفسه تنشرح لها وتمتلىء فَرَحًا. وسوف يذكر فيما بعد كيمي بصورة خاصة، وجزيرة سكيروس المقابلة لها.

ومن بين الحوادث الكثيرة التي حصلت معه خلال السنة الأولى التي قضاها في الجزيرة، وفي وقت ما بُعيد الفصح، نذكر الحادثة التالية: فقد جاءه شاب يبلغ الخامسة عشرة من العمر ودخل غرفته مساءً. وفي تلك الفترة كان يحضّر مؤلّفه «استعلان الرب في العالم» وينشره. إذ قد نجح في إرسال مخطوطاته إلى إحدى دور النشر في أثينا، بعد أن فرضَ على نفسه تضحيات جمّة، وإمساكًا، وجهادًا صبورًا. فكانت تصله مسودّات الطبع الأولى بالبريد كل أربعة أيام تقريبًا. وغالبًا ما كان يقضي الليل بطوله في تصحيحها، ولم يكن يَرُدُّ أحدًا من زائريه على الإطلاق. ولا حتى الحيوانات وقطط الحيّ الجائعة، التي كانت تأتي وتسرق من خزانة طعامه.

كان ذلك الشاب يلبس الثياب الرّثة، وينتعل حذاءً رخيص الثمن، وقد حلَقَ شعره قصيرًا جدًا. وكان يميل إلى طول القامة، وقد اشتد اصفرار وجهه. وكانت عيناه تعكسان أَلَمًا عميقًا. وإذ رأى نكتاريوس منحنيًا فوق أوراقه وفي يده الريشة، بادره قائلًا:

– «كنتُ في الكنيسة نهار الأحد يا أبتِ، وقد سمعت موعظتك التي تكلمت فيها عن العار. أنا ... **لا أعرف أبي**.»

فقال نكتاريوس:

– «ادخل يا ولدي، اجلس. سوف أُقدِّم لك قطعة من الحلوى»

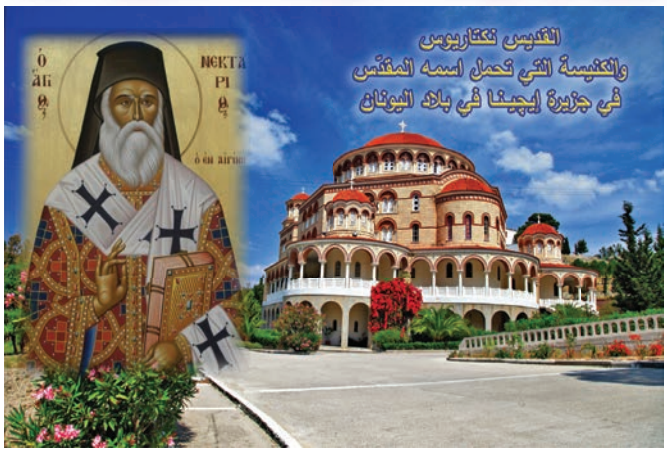

– «أشكرك، فقد تأخّر الوقت ولا داعي لذلك».

وتعب نكتاريوس في اقناع هذا الزائر المفاجىء بالدخول. وما ان استطاع أن يُجلسه بقربه على الكرسي المجاور للطاولة حتى انفجر الشابُّ بالبكاء وهو يقول:

– « سوف أضع حدًّا لحياتي يا أبتِ. لم أَعُد أستطيع الاحتمال. سأرمي بنفسي في البحر. أمي تبكي من وقت لآخر، لكنها في الواقع لا تهتم كثيرًا بهذا الموضوع. حيثما ذهبت ينعتونني **باللقيط**. لقد اضطررتُ لترك المدرسة ووجدتُ لي عملًا، لكن عندها أصبح الأمر أسوأ من ذي قبل.»

– «أين أُمّك؟»

– «إيّاكَ أن تُكلّمها، وإلّا فسأنهي حياتي بسرعة أكبر. إنّي أشفق عليها، فمن يعرف سبب خطيئتها؟ كانت تقول لي إنَّ زوجها كان يعمل في السفن، وانه رَحَلَ في أحد الأيام وتركها وحيدة. وكانت ما تزال شابة صغيرة. هذا ما تردّده عليّ باستمرار، والله وحده يعلم الحقيقة يا أبتِ. فماذا أفعل؟ إنها أمي، وأنا أشعر بالشفقة عليها. لو استطاعت لكانت أجهضت. لكنها لم تجهض. ويا ليتها فعلت ذلك، فأنا لم أَعُد أستطيع تحمّل سمّ الاهانات. لقد جئتك لأطلب منك أن تصلّي لربنا يسوع المسيح أن يترأف بأمي لأني لم أعُد أستطيع الانتظار، وأريد أن انهي حياتي».

وسكت الصبي والحزن يملأ عينيه الحمراوين. فنهض نكتاريوس من مكانه واقترب منه وصرخ:

– «يا ولدي، يا ولدي. ألا تعلم أن كل الذين هم مثلك، لا أب لهم، فان سيدنا المصلوب كما قلت تمامًا هو الذي ينحني نحوهم ويتبنّاهم؟ إنّ الفريسيين قد نعتوا أيضًا سيّدنا «باللقيط»، وهكذا أيضًا يسميه اليهود. وأنا الكاهن الحقير يا ولدي، إنّي ممثّل المسيح، وسوف أهتمك بك. فإذا نعتك أحدهم «باللقيط» ابتداءً من اليوم، فما عليك إلّا أن تأتي وتخبرني. ومن ناحية أخرى فاني لن أدعك في هذه الحالة. هل تحب أن تُسافر؟»

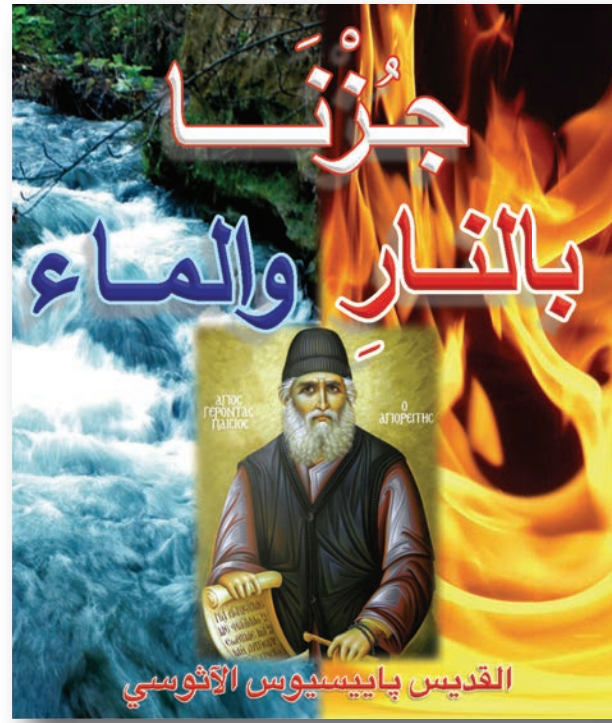

الباب السادس

الحياة بعد الموت

✝ الصلاة والذِكْرانيات من أجل الراقدين

✝ ياروندا، هل يحتاجُ الذين مَاتوا منذ فترةٍ قريبةٍ إلى صلاةٍ أكثَر؟

✝ حَسَنًا، عِندمَا يُسجن شَخصٌ ما، ألا يَستصعبُ الأمر في البداية؟ يجب أن نُصَلّي من اجل الذين رقدوا ولم يُرضوا الله، لكي يساعدهم بطريقةٍ ما. عندما نعرف أن أحدهم كان انسانًا قاسيًا وصعبًا – أنا أعني أنّه قد يبدو بالنسبة لنا أنّه شخصٌ قاسٍ، ولا يكونُ هكذا في الواقع – وقد عاشَ حياة خاطئة، فيتوجّب علينا عندها ان نُصلي أكثر من أجله. يمكننا أن نقيم القداديس الإلهيّة، أربعين قدّاسًا من أجل خلاص نفسه، إضافة إلى تقديم الإحسان للفقراء – **(القديس يوحنا الدمشقي، في عظته في الراقدين. يشير أنّ القداديس المقامة من أجلهم وأعمال الاحسان تنفعهم كثيرًا)** – لكي يُصلُّوا هم أيضًا «لتتقدَّس عظامه»، إلى أن يتعطَّف الله ويَرحمه. فكل ما يعمله هو نعمله نحن من أجله بهذه الطريقة. فإذا كان أحدهم يملكُ بعض الخير والصلاح، حتَّى لو لم تكُن حياته صالحةً، فسينتفع كثيرًا من مقدارٍ قليلٍ من الصلاةِ، لأنّه كان يمتلك نيّة حَسَنَةً.

أتذكر بعض الحالات التي استفاد فيها الراقدون من صلوات الأشخاص الروحيين. أتى أحدهم إلى قلايتي وأخبرني والدموع في عينيه: «ياروندا، أنا لم أُصَلِّ من أجل أصدقائي الراقدين وقد ظهر لي في الحلم وقال لي: «لقد مضَى عشرون يومًا ولم تُساعدني فيها. لقد نسيتني وأنا أتألَّم». لقد انشغلتُ قليلًا ولم أُصَلِّ حتَّى لنفسي منذُ عشرين يومًا».

✝ ياروندا، عندما يموت أحدهم ويطلبُ منّا أن نُصلِّي له، فهل تكفي «مسبحة واحدة» كل يوم حتى الأربعين؟

✝ إذا، صَلَّيتِ من أجله بالمسبحة، فعليكِ أن تذكري أيضًا كُلّ الراقدين بصلاتكِ. فلماذا ينطلق القطارُ إلى وجهته وعلى متنه فقط مسافرٌ واحدٌ، وهو يتّسع لعددٍ أكبر؟ كم من الأموات التعيسين يحتاجون للمساعدة، وما من أحدٍ يُصَلِّي من أجلهم!؟ فبعضهم تُقام من أجله ذكرانياتٌ بشكلٍ متواترٍ من قِبَل أفراد عائلته. لكن بهذه الطريقة، لا تستفيد حتَّى عائلته لأنّ صلاتهم ليست مرضيّة لله. إذ يجب عليهم أن يذكروا أيضًا بعض الراقدين ما داموا يُقيمون هذا العدد من الذكرانيّات من أجل شخصٍ واحدٍ فقط.

✝ ياروندا، ينتابني القلق أحيانًا من أجل خلاص أبي الذي لم تربطه بالكنيسة أيُّ علاقة؟

✝ لا يمكنكِ معرفة أحكام الله، حتَّى في آخر دقيقة. متى تشعرين بذلك؟ يوم السبت؟

✝ لم انتبه للوقت أو لليوم الذي انتابني فيه هذا القلقُ، لكن لماذا تسأل عن يوم السبت؟

✝ لأنَّه اليوم المخصّص للأموات.

✝ ياروندا، فيما يتعلّق بالأموات الذين ليسَ لديهم مَن يصلّي من أجلهم، فهل ينتفعون من الصلوات المرفوعة من أجل جميع الرّاقدين بالعموم؟

✝ بالتأكيد. في كل مرّةٍ أحضرُ فيها القداس الإلهيّ، أقيم ذكرانيةً عامةً من أجل الراقدين، بما فيهم الحكام، رؤساء الكهنة وغيرهم، وفي الآخر أقول: «ومن أجل الذين لم تُذكر أسماؤهم». وإذا حدث، أحيانًا، ولم أُصلِ من أجل الراقدين، يظهر أمامي بعض الراقدين من معارفي. فأحدُ أقربائي، الذي قُتِلَ في الحرب، ظهر لي بعد القداس الإلهي، في وقت الذكرانية، لأني لم أكتب اسمه مع بقية الأموات، لأنّه كان يُذكَر في التقدمة عند تهيئة القرابين مع الذين استشهدوا ببطولةٍ. إذًا، يجب ألّا نكتبَ فقط أسماء المرضَى، لذِكرها في التقدمة المقدّسة، بل أيضًا أسماء الراقدين، لأن حاجتهم للصلاة أكبر.

قِيلَ لحكيم دُلَّنا على: واجبٍ وأوجَب، وَعجِيبٍ وأَعجَب، وَصَعبٍ وأصعَب، وقريبٍ وأقرب. فقال شعرًا:

وَاجِـبُ النَّاسِ أنْ يَتُـوبُوا   وَلـكن تَـرك الذنـوبِ أوجَـب
والدَّهرُ في تصرّفه عجيبٌ   وَغَفْلَـةُ الـنَّـاسِ أَعـجَب
والصَّبرُ عِندَ المصائِبِ صَعبٌ   ولكن فواتُ الثَّوَابِ أَصعَب
وَكُـلُّ ما تَـتَـمَنَّى قَـريبٌ   وَالمَوْتُ من دون ذلك أقرَب

الصلاة في أي مكان وزمان

للقديس يوحنا الذهبي الفم

كيف لإنسانٍ في العالم، مُرتبط بعمله في المحكمة، أن يُصلّي ثلاث مرات في اليوم قاصدًا الكنيسة؟ أقول لك، إن هذا الأمر جائز وبسيط للغاية، ولكن حتى لو كان التوجُّه للكنيسة غير قابل للتدبير، فمن الممكن لِرَجُلٍ مرتبط بعمله في المحكمة، أن يقف ليُصليّ هناك في ردهتها. فلا حاجة بعد ذلك إلى الكلمات أو رفع اليدين أو الوقوف، بقدر الحاجة إلى الأفكار والنفس المُنضبطة والوقار، حيث لم يُسمَع **لحنَّة** ذاتها صوتٌ، وهي تصرخ بصوت عالٍ وواضح، ولكن صرختها العالية كانت في قلبها، أُنظروا قول الكتاب: «كانت تتكلم في قلبها، ولكن الرب ذكرها» (١ صم ١: ١٣، ١٩).

هكذا يفعل الكثيرون أيضًا في حالات عديدة، على الرغم من صياح موظف الدولة من الداخل، مُهدِّدًا وصارخًا بغضبٍ مُعبِّرًا عن سخطه، بينما هم يقفون في الرواق، راسمين علامة الصليب وقائلين بعض الصلوات في أذاهنهم، ومِن ثمَّ يدخلون عليه مُحوِّلين ومُهدِّئين إيَّاه، فيتحوَّل غيظه إلى لطفٍ. فلم يمنعهم من الصلاة هكذا، لا المكان أو التوقيت أو غياب الكلمات.

افعلوا هكذا أنتم أيضًا، مُتضرِّعين في أذهانكم، بأنَّاتٍ عميقة، شاخصين نحو السماء، مُتذكِّرين خطاياكم، قائلين: «ارحمني يا لله»، وهكذا تكونون قد أكملتم صلاتكم. فهذا الشخص الذي تضرَّع قائلاً: «ارحمني»، قد أعطى دليلًا على اعترافه بخطاياه، حيث طلب الرحمة يعود إلى الخَطَأَةِ. كذلك بقوله: «ارحمني»، قد نال الغفران عن ذنوبه، حيث لا يُعاقَب مَن نال الرحمة. كذلك بقوله: «ارحمني»، قد بلغ ملكوت السموات، حيث لا يتحرَّر من الخطيئة فقط، مَن أسبغ الله عليه رحمته، بل يستحق أيضًا خيرات الدهر الآتي.

بناءً على ذلك، دعونا لا نختلق أعذارًا، زاعمين بُعد المسافة عن الكنيسة، فنعمة الروح القدس ستجعلنا شخصيًا هياكل لله، إذا كان لدينا الرغبة الصادقة، وهو ما يُريحنا من كل جهة. فعبادتنا ليست كسابقتها التي كانت سائدة وسط اليهود، والتي كانت طويلة في ظاهرها، ولكنها قصيرة في حقيقتها. ففي العبادة اليهودية، كنتم ترون حاجة المُتعبِّد أن يصعد إلى الهيكل، ويبتاع حمام، ويحصل على خشب المحرقة، ويأخذ في يده سكينًا، ويَمثُل أمام المذبح، ويُجري بعض المُتطلَّبات الأخرى. أمَّا عبادتنا من الناحية الأخرى، فهي ليست كذلك، فلديكم أينما كنتم المذبح والشكينة* والذبيحة، وأنتم أنفسكم الكاهن والمذبح والذبيحة.

بعبارة أخرى، يُمكنكم أينما كنتم أن تُقيموا المذبح، مع البرهان فقط على إرادةٍ يقظة، حيث لا يُشكِّل عندئذ المكان عقبة، ولا الزمان عائقًا، وحتى لو لم تخرُّوا ساجدين، أو تقرعوا صدوركم، أو ترفعوا أياديكم نحو السماء، بل تُظهرون فقط رغبة مُتَّقِدة، تكونون قد أتممتم الصلاة

كاملةً. فيجوز لإمرأةٍ تحمل المغزل في يدها وتعمل على النول، أن تشخص نحو السماء بفكرها وتتضرَّع بحرارة إلى الرب. كما يجوز لرجلٍ يتجوَّل وحده في ساحة السوق أن يُصلِّي بانتباهٍ، أو لآخر جالسًا على طاولة العمل لخياطة الجلود، أن يتجه بروحه نحو الرب. كما يجوز لخادمٍ يقوم ببعض المشتريات، راكضًا هنا وهناك، أو واقفًا في المطبخ، مع عدم امكانية الذهاب إلى الكنيسة، أن يُصلي بيقظة وحرارة. فالمكان ليس شيئًا يستحي منه الله، لأنه يتطلَّع نحو شيءٍ واحدٍ فقط: **ذهن مُتَّقِدٍ وروحٍ يقظة**.

فَلكُم أن تعلموا أنه لا حاجة، إطلاقًا، إلى مظهر خارجي أو أماكن أو أوقاتٍ، بل لرغبة قوية مُتَّقِدة. لم يكن **بولس** واقفًا بل مُستلقيًا على ظهره في السجن – حيث كانت أرجله مضبوطةً في المقطرة – حينما تزلزل السجن، بينما كان يُصلّي بحماسةٍ وهو مُلقًى على الأرض، فتزعزعت الأساسات، وارتعب حافظ السجن، الذي قاده بولس بعد ذلك إلى مُستهَلِّ الطقوس المُقدَّسة. هكذا أيضًا **حزقيا** لم يكن واقفًا أو ساجدًا على ركبتيه، بل كان مُستلقيًا في الفراش على ظهره بسبب مرضه، مُوجِّهًا وجهه إلى الحائط، حينما صلَّى إلى الله بحماسةٍ وروحٍ يقظة، مُشيرًا إلى الحكم الذي صدَرَ عليه، فنال عطفًا جزيلًا واستعاد صحته الجيدة كما في السابق. سوف تجدون أن هذا يحدث أيضًا، ليس فقط مع القديسين، ولكن أيضًا مع الأشرار، **فاللص** لم يكن واقفًا في بيت الصلاة، ولا كان ساجدًا على ركبتيه، بل كان مُمدَّدًا على الصليب حينما فاز بملكوت السموات ببضع كلمات. رجلٌ آخر كان في جبٍ عميق، وآخر في جبِ الوحوش المفترسة، وآخر راقدًا في بطن وحش البحر، حينما كانوا يُصلُّون إلى الله، تبدَّدت كل المشاكل التي كانت تحيق بهم، ونالوا عطفًا من العلاء.

أوصيكم بلا انقطاع بحديثي هذا، أن تستمروا في عادة زيارة الكنائس، والصلاة بسكونٍ في البيت، حينما يسمح الوقت، ساجدين على ركبكم ورافعين أياديكم. ومع ذلك، دعونا ألَّا نتخلَّى عن الصلاة، إذا أحاط بنا، بسبب الزمان والمكان، جمعٌ من الناس، بل على نفس المنوال الذي ذكرته لكم، صلُّوا وتضرَّعوا إلى الله، مؤمنين مع ذلك، أنه سيستمع إلى تضرُّعكم في هذه الصلاة.

لقد أفضت في حديثي، لا لكي تستحسنوه أو تعجبوا به، بل لتختبروه بأنفسكم ليلًا ونهارًا مُزيِّنين وقت العمل بالصلوات والتضرّعات. فإن تدبَّرنا شؤوننا بهذه الطريقة، سنقضي حياتنا في اطمئنانٍ، وننال ملكوت السموات.

* «لم ترد كلمة شكينة **Shekinah** في الكتاب المقدس، ولكن معناها موجود بوضوح. قام معلمو اليهود بصياغة هذا المصطلح غير الموجود في الكتاب المقدس، وهو واحد من صيغ كلمة عبرية معناها الحرفي "جعله يسكن"، في إشارة إلى الزيارة الإلهية وحضور الرب الإله أو سكناه على الأرض. كانت الشكينة واضحة أولًا عندما ارتحل شعب إسرائيل من سكوت عند هروبهم من مصر. هناك ظهر الرب في عمود سحاب في اليوم وعمود من نار في الليل: «وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي ايثَامَ فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ. وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ امَامَهُمْ نَهَارا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ وَلَيْلا فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ – لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارا وَلَيْلا. لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلا مِنْ امَامِ الشَّعْبِ» (خروج ١٣: ٢٠–٢٢)»

الأرثوذكسيّة (٧٣)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار   قاعدة الأيمان

ويكنيسة
واحدة جامعة مُقَدَّسة رسولية

منذ زمن مَضَى، رسَمَ الفنَّان نورمان روكويل *Norman Rockwell* صورة تصف جماعة من الناس وهم يسيرون بجوار كاتدرائيَّة عظيمة، وكل واحد يمشي وعيناه مُثَبَّتتان على رصيف الشارع، والأكتاف المنحنية تُعبِّر عن مدى الكآبة والحزن الذي يعيشه هؤلاء الناس. كل واحد في الصورة يبدو كما لو كان يَحمل ضغوطًا وقلاقِل تُعبِّر عن عناء الحياة المعاصرة. كما يبدو كل واحد وهو مستغرق في مشاكل لا حلَّ لها، لدرجة أنَّه ولا يشعُر احدٌ بالآخر الذي بجواره. وأيضًا منظَر رصيف الشارع يُعَبِّر عن اليأس الذي لا رجاء فيه على الإطلاق.

ومع ذلك فقد كان يوجَد على رصيف الشارع وعلى الدرجات الصاعدة إلى الكاتدرائيَّة الشخص المهتمُّ بها، وكان جاثمًا على سُلَّم وهو يسأل الراعي ما إذا كانت عظة اليوم المُعلَّق الإعلان عنها هي صحيحة؟

كان الاعلانُ مكتوبًا فيه عنوان العظة: **«ارفع عينيك إلى فوق»**، وكان هذا العنوان محاطًا بصورة فخمة للكاتدرائيَّة وَتظهَر أبوابها مفتوحة، وتمثال للمسيح ويداه مفتوحتان، والمذبح الملوكي في خلفيَّة الصورة، وسِربٌ من الطيور يُحَلِّق إلى أعلى. إنَّ التضاد والاختلاف في هذه الصورة لمثيرٌ حقًّا: هذه الوجوه الكثيرة الحزينة والتي تسير بجوار باب الكاتدرائيَّة المفتوح لَم تُشغل نفسها بالنَظَر إلى أعلى، بدلًا من التطلُّع المُستمر إلى رصيف الشارع. ربَّما لو نَظَرتْ إلى فوق لَوَجَدتْ لنفسها الرجاء والشجاعة. الكنيسة تَظهَر وهي تدعو العالَم ليرفع عينيه إلى الله، والعالَم لَم يَظهر وهو يسير بجوارها وهو لا يكترث!

في قانون الإيمان النيقاوي نحن نعترف أنَّه بدلًا من أن نتجاهل الكنيسة، نحن نُؤمن بها بحرارة وحماس: «**أُومن بكنيسة واحدة جامعة مقدّسة رسولية**». ولكن ماذا تعني هذه الكلمات؟

واحدة:

الكنيسة واحدة لأنّ الله واحد: «جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ.» (اف ٤:٤-٦). إنَّ تعدَّد الطوائف الذي نراه من حولنا قد سبَّبه سوء فهم الإنسان. إنَّه ليس جُزءًا من مشيئة الله للكنيسة. ومع ذلك فلو قامت هذه الطوائف المختلفة ببحثٍ مُخلص عن الحقيقة وباشتياق للوصول إلى اتِّصال أعمق مع الله، فإنَّنا سوف نجد أنَّه يوجَد فعلًا نوعٌ من الوحدة.

إنَّها بركة أنَّ جميع الطوائف المسيحيَّة اليوم تتوق إلى عودة اكتشاف وحدتها في المسيح من خلال مجلس الكنائس العالمي والحركة المسكونيَّة على العموم. إنَّ الكنيسة الأرثوذكسيَّة تؤمن أنَّها الكنيسة «**الواحدة**» التي أسّسها المسيح، لأنها هي الكنيسة التي احتفظت بتعاليم الآباء القُدامى كاملة، كما أنَّها كنيسة غير منقسمة، لم تحذف ولم تُضِف شيئًا من هذه التعاليم. تؤمن الكنيسة الأُرثوذكسيَّة أنَّ الوحدة يُمكن بلوغها عندما تَقبَل كافة الطوائف المسيحيَّة تعاليم الكنيسة القديمة كلها، هذه الكنيسة التي لم تنقسِم، والتي تُعَبِّر الكنيسة الأُرثوذكسيَّة أنَّها هي الاستمرار التاريخي لها.

مُقَدَّسة:

الكنيسة مُقَدَّسة لأنّ ربَّنا جعلها هكذا «أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ.» (أف ٥:٢٥-٢٧). وليست الكنيسة مُقدَّسة، ولكن هدفها أن تجعلنا نحنُ أيضًا مُقَدَّسين وَقِدِّيسين، أي مُختلفين عن العالَم، لنعمل وفق مشيئة الله وكشركاء في حياة الله.

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الخامسةَ عشرةَ

«... وسيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء»

٢٨- الكتاب المقدّس يعلن أبدية ملكوت المسيح:

لديكَ شهادة أُخرى في تفسير الحجر الذي انقطع من الجبل لا باليدين «كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَى أَنْ قُطِعَ حَجَرٌ بِغَيْرِ يَدَيْنِ، فَضَرَبَ التِّمْثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ اللَّتَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَخَزَفٍ فَسَحَقَهُمَا.» (دانيال ٢:٣٤). إنّه المسيح بحسب الجسد ومُلكه لا يترك لشعب آخر، «وَفِي أَيَّامِ هؤُلاَءِ الْمُلُوكِ، يُقِيمُ إِلهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا، وَمَلِكُهَا لاَ يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هذِهِ الْمَمَالِكِ، وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ.» (٢:٤٤). ويقول داوود النبي كذلك: «كُرْسِيُّكَ يَا اَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. » (مز٤٥:٦)؛ وفي موضعٍ آخر: «مِنْ قِدَمٍ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ تَبِيدُ وَأَنْتَ تَبْقَى، وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى، كَرِدَاءٍ تُغَيِّرُهُنَّ فَتَتَغَيَّرُ. وَأَنْتَ هُوَ وَسِنُوكَ لَنْ تَنْتَهِيَ.» (مزمور ١٠٢:٢٦-٢٨). ينسب بولس هذه الآيات الى الابن في رسالته إلى العبرانيين: «وَأَمَّا عَنِ الابْنِ:«كُرْسِيُّكَ يَا أَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِزَيْتِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ». وَ «أَنْتَ يَارَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ.» (عب ١:٨-١٠).

٢٩- نشأةُ البِدْعَةِ الجديدة:

هل تريد أن تعرف كيف بلغ هذا الحدّ من الجنون هؤلاء الذين يعلّمون العَكسَ؟ إنهم لم يحسنوا قراءة ما قاله الرسول: «لأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَمِيعَ الأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ.» (١كور ١٥:٢٥)، إذ هم يقولون: انه لن يعود يملك بعد أن يصبح أعداؤه تحت قدميه. إنَّه لمن الخطأ والحماقة بمكان أن يُقال ذلك، لأن الذي كان يملك قبل أن يقاتل أعداءه، كيف لا يعود يملك بعد أن يُخضعهم؟

٣٠- ادّعاء الهراطقة باضمحلال الابن في الآب:

وقد ذهبت بهم الجرأة إلى القول بأن هذه الآية: «وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، فَحِينَئِذٍ الابْنُ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ، كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.» (١كور١٥:٢٨). تعني أنَّ الابن سيضمحلّ في الآب! وهكذا تبقون أنتم، يا خلائق المسيح، يا أشدَّ الناس كُفرًا، والمسيح الذي به خُلقتم، وبه صُنِعَتْ كل المخلوقات، يزول؟ هذا الكلام **تجديف**. إذ كيف «يخضع له كل شيء»، الأشياء التي تزول والأشياء التي تبقى! وهكذا الأشياء التي تخضع للابن تبقى، والابنُ الذي أخضعها للآب يزول؟ انه سيخضع للآب لا بمعنى أنه سيبدأ عندئذ بالخضوع - لأنه كما هو مكتوبٌ في انجيل يوحنا: «وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ» (يو ٨:٢٩). ولكن بمعنى أنه سيطيع لا طاعة «**جبريّة**» بل طاعة «**إختيارية حرّة**»، لأنه ليس عبدًا ليُكره على الطاعة، بل ابنًا يطيع بفعل حريّة وحبّ.

٣١- دحض هذه البدعة من الكتاب المقدس:

ولكن فلنسألهم: ما معنى «**حتَّى**» ؟ لأنّي سأناقضهم وأظهر لهم خطأهم. بما أنهم تجرأوا على القول: «حتى يضع جميع أعدائه تحت قدميه» تعني نهايته؛ كما أنَّهم تجرّأوا على تحديد ملكوت المسيح الأبدي، وإبطال كرامة لا تبطل. فلنقرأ العبارات المماثلة في كتابات الرسول: «لكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ، الَّذِي هُوَ مِثَالُ الآتِي.» (رومية ٥:١٤). هل يعني ذلك أن الناس كانوا يموتون قبل ذلك، ولكن بعد موسى لم يمت أحد البتّة؟ أو هل لم يكن موت بعد موسى؟ - أنتَ ترى إذن كلمة «**حتَّى**» لا تضع حدًّا للزمن. بل بالعكس أراد بولس أن يُظهر أنه على الرغم من أنَّ موسى كان رجُلًا بارًّا وجليلًا، فإنَّ حُكم الموت الذي صدر بحقّ آدم، كان يتناوله هو ونسله. ذلك وإن لم يخطئوا جميعًا مثل آدم عندما أكل من شجرة الحياة، مخالفًا بذلك أمر الله.

٣٢- (تابع):

وإليكَ أيضًا جملة أُخرى مماثلة: «لأَنَّهُ حَتَّى الْيَوْمِ ذلِكَ الْبُرْقُعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ بَاقٍ غَيْرُ مُنْكَشِفٍ، الَّذِي يُبْطَلُ فِي الْمَسِيحِ. » (٢كور ٣:١٤). هل عبارة «حَتَّى الْيَوْمِ» تعني إلى أيام بولس فقط؟ ألَا تعني إلى يومنا وإلى النهاية! اذا كان بولس يقول للكورنثيين: « إِذْ قَدْ وَصَلْنَا إِلَيْكُمْ أَيْضًا فِي إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ ... بَلْ رَاجِينَ إِذَا نَمَا إِيمَانُكُمْ ... لِنُبَشِّرَ إِلَى مَا وَرَاءَكُمْ.» (٢كور ١٠:١٤-١٦)، أترى بوضوح أن كلمة «قَدْ وَصَلْنَا إِلَيْكُم» ليست النهاية، بل هي مرحلة من كرازة بولس! فكيف إذن يجب أن تُفهم عبارة: «حتى يضع جميع أعدائه تحت قدميه»؟ بالكيفية نفسها التي يقول بها بولس الرسول في موضعٍ آخر: «بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، مَا دَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ» (عب ٣:١٣). أي باستمرار. وكما أنه لا يمكن القول بأن المسيح له بداية أيام (عب ٧:٣)، كذلك لا يمكن القول بأنّ له نهاية مُلك، لأنه مكتوب: «الَّذِي سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ، وَمَلَكُوتُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ.» (دانيال ٤:٣٤).